"بخطّ يدِهِ"

كُتَيّب يضم وصية الحاج قاسم سليماني

ومذكراته التي نشرت تحت عنوان: "لم أكن أخاف شيئاً"

النص الكامل لوصية الحاج قاسم سليماني:

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد بأصول الدين

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله، وأشهد أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأولاده المعصومين الإثني عشر أئمّتنا ومعصومينا حجج الله.

أشهد بأنّ القيامة حقّ، والقرآن حقّ، والجنّة وجهنّم حقّ، والسّؤال والجواب حقّ، والمعاد، والعدل، والإمامة والنبوّة حقّ.

إلهي! أشكرك على نعمك

إلهي! أشكرك على أن نقلتني من صلبٍ إلى صلب ومن قرنٍ إلى قرن، نقلتني من صلبٍ إلى صلب وسمحت لي بالظهور ومنحتني الوجود بحيث أتمكّن من إدراك أحد أبرز أوليائك المقرّبين والمتعلّقين بأوليائك المعصومين، عبدك الصّالح الخميني الكبير، وأن أصبح جنديّاً في ركابه. فإن لم أحظَ بتوفيق صحبة رسولك الأعظم محمّد المصطفى (صلى الله عليه وآله) ولم يكن لي نصيبٌ من فترة مظلوميّة عليّ بن أبي طالب وأبنائه المعصومين والمظلومين (عليهم السلام)، فقد جعلتني في نفس المسار الذي بذلوا لأجله أرواحهم التي هي روح العالم والخلقة.

اللهم إني أشكرك على أن جعلتني بعد عبدك الصالح الخميني العزيز، سائراً في درب عبد صالح آخر من عبادك الصالحين، مظلوميته تفوق صلاحه، رجل هو حكيم الإسلام والتشيّع وإيران وعالم الإسلام السياسي اليوم، الخامنئي العزيز روحي لروحه الفداء.

إلهي! لك الشكر على أن جمعتني بأفضل عبادك وتكرّمت عليّ بتقبيل وجوههم الجنائنيّة واستنشاق عطرهم الإلهي، ألا وهم مجاهدو وشهداء هذا الدرب.

إلهي! أيّها القادر العزيز والرّحمن الرزّاق، أمرّغ جبهة الشّكر والاستحياء على عتبتك، أن جعلتني أسير على درب فاطمة الزكيّة وأبنائها في مذهب التشيّع – العطر الحقيقي للإسلام – وجعلتني أنال توفيق ذرف الدّموع على أبناء علي ابن أبي طالب وفاطمة الزكيّة (عليهما السلام)؛ أيّ نعمة عظيمة هذه التي هي أرفع نعمك وأثمنها، وهي نعماك للنّور والمعنويّة، وهياج يحمل في طيّاته أرفع درجات السُّكنى والطّمأنينة، وحُزنٌ يختزن الهدأة والرّوحانيّة.

إلهي! أشكرك على أن رزقتني والدين فقيرين، إلّا أنّهما كانا متديّنين وعاشقين لأهل البيت وسائرين دائماً في درب الطّهر والنّقاء. أطلب منكَ متضرعاً أن تسكنهما في جنّتك ومع أوليائك وترزقني لقاءهما في عالم الآخرة.

إلهي! كلّي أمل بعفوك

يا أيّها الرّب العزيز والخالق الحكيم الأحد الذي لا نظير له! أنا خالي الوفاض وحقيبة سفري فارغة، لقد جئتك دون زاد وكلّي أمل بضيافة عفوك وكرمك. لم أتّخذ زاداً لنفسي؛ فما حاجة الفقير للزّاد في حضرة الكريم؟!

فمتاعي مليئ بالأمل بفضلك وكرمك؛ وقد جئتكَ بعينين مغلقتين، ثروتهما إلى جانب كلّ ما حملتاه من الوزر هي ذلك الذّخر العظيم المتمثّل بجوهرة الدّموع المسكوبة على الحسين ابن فاطمة (عليه السلام)؛ جوهرة ذرف الدّموع على أهل البيت (عليهم السلام)؛ جوهرة ذرف الدّموع عند الدفاع عن المظلوم واليتيم والدّفاع عن المظلوم المحاصر في قبضة الظّالم.

إلهي! يداي خاويتان؛ فلا شيء لديهما تقدّماه ولا طاقة لهما على الدّفاع، لكنّني ادّخرت في يداي شيئًا وأملي معقودٌ على هذا الشّيء؛ إنّهما كانتا دائماً ممدودتين إليك، في تلك الأوقات التي كنت أرفعهما إليك، وعندما كنت أضعهما لأجلك على الأرض وعلى ركبتيّ، وعندما حملت السّلاح بيدي لأجل الدّفاع عن دينك؛ هذه هي ثروة يداي وأملي بأن تكون قد تقبّلتها.

إلهي! قدماي مترنّحتان، لا رمق فيهما. لا جرأة لهما على عبور الصّراط الذي يمرّ فوق جهنّم.

فأنا ترتعش قدماي حتى على الجسر العاديّ، فالويل لي أمام صراطك الذي هو أرفع من الشّعرة وأحدّ من السّيف؛ لكنّ بصيص أملٍ يُبشّرني بإمكانيّة أن لا أتزعزع، وقد أنجو. لقد تجوّلت بهاتين القدمين في حرمكَ وطفتُ حول بيتكَ وركضت حافياً في حرم أوليائك وبين الحرمين، بين حرمي حسينكَ وعبّاسك؛ كما أنّني ثنيتُ هاتين الرجلين في المتاريس لمدّة طويلة وركضت، وقفزت، وزحفتُ، وبكيتُ، وضحكتُ وأضحكتُ وبكيت وأبكيتُ، ووقعت ونهضت لأجل الدّفاع عن دينك. آملُ أن تصفح عنّي لأجل تلك القفزات وذلك الزّحف وبحرمة تلك الحرمات.

إلهي! رأسي، وعقلي، وشفاهي، وحاسّة شمّي، وأذني، وقلبي، وكلّ أعضائي وجوارحي غارقة في هذا الأمل؛ يا أرحم الرّاحمين! إقبلني؛ إقبلني طاهراً؛ اقبلني بأن أكون لائقًا للوفود إليك.

لا أرغب في شيءٍ سوى لقياك، فجنّتي جوارك، يا الله!

إلهي! لقد تخلّفت عن قافلة رفاقي

إلهي! أيّها العزيز! لقد تخلّفت لسنوات عن القافلة، وقد كنتُ دوماً أدفع الآخرين إليها، لكنّي بقيت متخلّفًا عنها، وأنت تعلم أنّي لم أستطع أبداً نسيانهم، فذكراهم وأسماؤهم تتجلّى دائماً لا في ذهني بل في قلبي وفي عينيّ المغرورقتين بدموع الحسرة.

يا عزيزي! جسمي يوشك على أن يعتلّ ويمرض، كيف يُمكن أن لا تقبل من وقف على بابك أربعين سنة؟ يا خالقي، يا محبوبي، يا معشوقي الذي لطالما طلبتُ منه أن يغمر وجودي بعشقه، أحرقني وأمتني بفراقك.

يا عزيزي! لقد تهتُ في الصّحاري نتيجة اضطرابي وفضيحتي وتخلّفي عن هذه القافلة؛ وأنا أتنقّل من هذه المدينة إلى تلك المدينة ومن هذه الصّحراء إلى تلك الصّحراء في الصّيف والشّتاء بدافع أملٍ [يخالج قلبي]. أيّها الحبيب والكريم، لقد عقدتُ الأملَ على كرمك، وأنتَ تعلم أنّي أحبّك. وتعلم جيّدًا أني لا أريد سواكَ، فدعني أتّصل بك.

إلهي، الخوف يغمر كلّ وجودي. أنا عاجزٌ على لجم نفسي، فلا تفضحني. أقسم عليك بحرمة أولئك الذين أوجبت حرمتهم على ذاتك، ألحقني بالقافلة التي سارت إليك قبل أن أكسر الحرمة التي تخدش حرمتهم.

يا معبودي، ويا عشقي ومعشوقي، أحبّك. لقد رأيتكَ وشعرتُ بك مرّات عديدة، ولا أقدر على البقاء بعيدًا عنك. إذن، اقبلني، لكن بالنّحو الذي أكون فيه لائقًا للإتصال بك.

كلام موجّه لإخوتي وأخواتي المجاهدين...

إخوتي وأخواتي المجاهدين في هذا العالم، يا من أعرتم الله جماجمكم وحملتم الأرواح على الأكفّ ووفدتم إلى سوق العشق من أجل البيع، فلتلتفتوا: إن الجمهوريّة الإسلاميّة قطب الإسلام والتشيّع. مقرّ الحسين بن علي، اليوم، هو إيران. فلتعلموا أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة هي الحرم، وسوف تبقى سائر الحُرم إنْ بقي هذا الحرم. إذا قضى العدوّ على هذا الحرم فلن يبقى هنالك من حرم، لا الحرم الإبراهيمي ولا الحرم المحمّدي.

إخوتي وأخواتي! العالم الإسلامي بحاجة دائماً إلى قائد؛ قائد متّصل بالمعصوم ومنصّب بصورة شرعيّة وفقهيّة. تعلمون جيّداً أنّ أنزه عالم دين والذي هزّ أركان العالم وأحيى الإسلام، أعني إمامنا الخميني العظيم الجليل، جعل ولاية الفقيه الوصفة المنقذة الوحيدة لهذه الأمّة؛ لذلك عليكم أنتم الشّيعة الذين تعتقدون بها اعتقاداً دينياً، وأنتم السنّة الذين تعتقدون بها اعتقاداً عقليّاً، أن لا تتخلّوا عن خيمة الولاية وأن تتمسّكوا بها من أجل إنقاذ الإسلام بعيداً عن أيّ نوع من أنواع الخلاف. الخيمة هذه هي خيمة رسول الله (ص). أساس معاداة العالم للجمهوريّة الإسلاميّة يهدف إلى إحراق وتدمير هذه الخيمة. فلتطوفوا حولها.

والله والله لو أصاب هذه الخيمة أيّ مكروه، فلن يبقى لا بيت الله الحرام ولا المدينة ولا حرم رسول الله، ولا النّجف، ولا كربلاء، ولا الكاظمان، ولا سامراء، ولا مشهد؛ وسوف يلحق الضّرر بالقرآن.

خطاب لإخوتي وأخواتي الإيرانيّين...

إخواني وأخواتي الإيرانيّين الأعزّاء، أيّها الشّعب الشّامخ والمشرّف الذي ترخص روحي وأرواح أمثالي آلاف المرّات لكم، كما أنّكم قدّمتم مئات آلاف الأرواح لأجل إيران والإسلام؛ فلتحافظوا على المبادئ. المبادئ تعني الوليّ الفقيه، خاصّة هذا الحكيم، المظلوم، الورع في الدّين، والفقه، والعرفان والمعرفة؛ فلتجعلوا الخامنئي العزيز عزيز أرواحكم، ولتنظروا إلى حرمته كحرمة المقدّسات.

أيها الإخوة والأخوات، أيها الآباء والأمهات، يا أعزائي!

الجمهوريّة الإسلاميّة تطوي اليوم أكثر مراحلها شموخًا. فلتعلموا أن نظرة العدوّ إليكم ليست مهمّة. أيّ نظرة كانت للعدوّ تجاه نبيّكم وكيف عامل [الأعداء] رسول الله وأبناءه، وأيّ تهمٍ وجّهوها إليه، وكيف عاملوا أبناءه الأزكياء؟ لا يؤدينّ ذمّ العدوّ وشماتته وضغوطاته إلى تفرقتكم.

اعلموا – وأنتم تعلمون- أنّ أهمّ إنجازٍ مميّز للإمام الخميني العزيز كان أنّه جعل في بادئ الأمر الإسلام ركيزة لإيران، ومن ثمّ جعل إيران في خدمة الإسلام. لو لم يكن الإسلام ولو لم تكن تلك الروح الإسلاميّة سائدة في هذا الشّعب، لنهش صدّام هذا البلد كذّئب مفترس؛ ولقامت أمريكا بالأمر نفسه ككلب مسعور، لكنّ ميزة الإمام الخميني أنه جعل الإسلام ركيزة ورصيداً؛ وجعل عاشوراء ومحرّم، وصفر والأيام الفاطميّة سنداً لهذا الشّعب. لقد أشعل الثورات داخل هذه الثّورة. ولهذا جعل الآلاف من المضحّين في كلّ مرحلة من أنفسهم دروعًا تحميكم وتحمي الشعب الإيرانيّ وتراب الأراضي الإيرانيّة، والإسلام، وجعلوا أعتى القوى الماديّة ترضخ ذليلة أمامهم. أعزّائي، إياكم أن تختلفوا في المبادئ.

الشهداء محور عزّتنا وكرامتنا جميعًا؛ وهذا الأمر لا ينحصر بيومنا هذا فقط، بل إنّ هؤلاء اتّصلوا منذ الأزل ببحار الله جلّ وعلا الشاسعة. فلتنظروا إليهم بأعينكم وقلوبكم وألسنتكم بإكبار وإجلال كما هم حقاً. عرّفوا أبناءكم على أسمائهم وصورهم، وانظروا إلى أبناء الشهداء الذين هم أيتامكم جميعاً بعين الأدب والاحترام. فلتنظروا بعين الاحترام إلى زوجات الشهداء وآبائهم وأمّهاتهم، وكما تعاملون أبناءكم بالصّفح والتغاضي، عاملوا هؤلاء بعناية واهتمام خاصين في غياب آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم وأبنائهم.

عليكم باحترام قواتكم المسلّحة التي يقودها الوليّ الفقيه اليوم، وذلك من أجل الدفاع عن أنفسكم، ومذهبكم، و عن الإسلام والبلاد، وعلى القوات المسلّحة أن تدافع عن الشّعب والأعراض والأرض كدفاعها عن منازلها، وأن تعامل الشعب بأدب واحترام، وأن تكون بالنسبة للشعب كما قال أمير المؤمنين ومولى المتّقين مصدر عزة، وقلعة وملجأ للمستضعفين والناس، وزينة للبلاد.

خطابي لأهالي كرمان الأعزّاء...

أخاطب أهالي كرمان الأعزّاء أيضاً بنقطة؛ الأهالي المحبوبين الذين قدّموا خلال الأعوام الثمانية من الدفاع المقدس أسمى التضحيات وبذلوا للإسلام قادة ومجاهدين رفيعي المنزلة. أنا خجلٌ منهم دائماً. لقد وثقوا بي لثمانية أعوام من أجل الإسلام؛ وأرسلوا أبناءهم إلى المقاتل والحروب القاسية مثل عمليات كربلاء 5، ووالفجر 8 ، وطريق القدس، والفتح المبين، وبيت المقدس و... وأسّسوا فرقة كبيرة قيّمة أسموها «ثار الله» محبّة بالإمام المظلوم الحسين بن عليّ (عليه السلام) ، ولطالما كانت هذه الفرقة كالسّيف الصّارم، أدخلت الفرح والسّرور على قلوب شعبنا والمسلمين مرّات عديدة ومسحت عن وجوههم الحزن والآلام.

أعزّائي! لقد رحلت عنكم اليوم حسب ما اقتضته المقادير الإلهيّة. أنا أحبّكم أكثر من أبي وأمي وأبنائي وإخوتي وأخواتي، لأنّي قضيت معكم أوقاتاً أكثر منهم؛ وبالرغم من أنّي كنت فلذة كبدهم وكانوا هم قطعة من وجودي، إلّا أنّهم أذعنوا بأن أنذر وجودي لأجل وجودكم ولأجل الشعب الإيراني.

أتمنّى أن تبقى كرمان دائماً وحتّى النهاية مع الولاية. هذه الولاية هي ولاية عليّ بن أبي طالب وخيمتها خيمة الحسين بن فاطمة، فطوفوا حولها. إنني أخاطبكم جميعاً. تعلمون أنّني كنت أهتمّ في حياتي بالإنسانيّة والعواطف والفطرة أكثر من الأطياف السياسيّة. وهذا خطابي لكم جميعاً حيث أنّكم تعتبروننني فرداً منكم وأخاً لكم وواحداً من أبنائكم.

أوصيكم بأن لا تتركوا الإسلام وحيداً في هذه البرهة من الزمن وهو متجلٍّ في الثورة الإسلاميّة والجمهوريّة الإسلاميّة. الدفاع عن الإسلام يحتاج ذكاءً واهتماماً خاصين. وأينما طُرحت في القضايا السياسيّة نقاشات حول الإسلام، والجمهوريّة الإسلاميّة، والمقدّسات وولاية الفقيه، [فلتعلموا] أنّ هذه هي صبغة الله؛ فلتقدّموا صبغة الله على أيّ صبغة أخرى.

وأخاطب عوائل الشهداء...

أبنائي وبناتي، يا أبناء الشهداء، يا آباء وأمّهات الشهداء، أيّتها الأنوار المشعّة في بلادنا، يا إخوان وأخوات وزوجات الشهداء الوفيّات المتديّنات! الصوت الذي كنت أسمعه في هذا العالم بشكل يومي وأستأنس به فيغمرني بالسّكينة كصوت القرآن وكنتُ أعتبره أعظم سند معنوي لنفسي، هو صوت أبناء الشّهداء الذي كنتُ أستأنس به يوميّاً في بعض الأحيان؛ وصوت آباء وأمّهات الشّهداء الذين كنت ألمس في وجودهم وجود والدي ووالدتي.

أعزّائي! فلتدركوا قيمة أنفسكم ما دمتم روّاد هذا الشّعب. اجعلوا شهيدكم يتجلّى في ذواتكم، بحيث يشعر كلّ من يراكم بوجود الشهيد في أنفسكم، ويشعر بنفس الروحانيّة والصلابة وكافّة الخصائص.

ألتمس منكم الصّفح عني وبراءة الذمة. لقد عجزتُ عن أداء حقّ الكثيرين منكم ولم أوفِّ أيضاً حقّ أبنائكم الشهداء، فاستغفر الله وأطلب العفو منكم.

وأرغب أن يحمل أبناء الشهداء جثماني على أكتافهم، علّ الله عزّ وجلّ يشملني بلطفه ببركة ملامسة أيديهم الطاهرة لجسدي.

خطاب للسياسيّين في البلاد...

أرغب في مخاطبة السياسيّين في البلاد بملاحظة مقتضبة سواء كانوا من الذين يطلقون على أنفسهم اسم الإصلاحيّين أو الذين يسمّون أنفسهم بالأصوليّين. ما كنت أتألّم لأجله دائمًا هو أنّنا بشكل عام ننسى الله والقرآن والقيم في مرحلتين، بل نضحّي بكلّ هذه الأمور. أعزّائي، مهما تنافستم وتجادلتم، فلتعلموا أنّه عندما تؤدّي تصرّفاتكم وتصريحاتكم أو مناظراتكم إلى إضعاف الدين والثورة بنحو من الأنحاء، فسوف تكونون من المغضوب عليهم من قبل نبيّ الإسلام العظيم (ص) وشهداء هذا النهج؛ ميزوا الحدود ولا تخلطوها. إذا كنتم ترغبون في أن تكونوا مع بعضكم، فشرط ذلك هو الاتفاق حول المبادئ والتصريح الواضح بها. المبادئ ليست طويلة وتفصيليّة. المبادئ عبارة عن بضعة أصول هامّة:

-1أوّل هذه الأصول هو الاعتقاد العمليّ بولاية الفقيه؛ أي أن تنصتوا إلى نصائحه، وتطبّقوا من أعماق القلب توصياته وملاحظاته بوصفه طبيباً حقيقيّاً من الناحيتين الشرعيّة والعلميّة. إنّ الشّرط الأساسي لكلّ من يسعى في الجمهوريّة الإسلاميّة لاستلام مسؤوليّة معيّنة أن يكون لديه اعتقاد حقيقي وعمليّ بولاية الفقيه. أنا لا أقول بالولاية التنوّريّة ولا بالولاية القانونيّة؛ فلا تحلّ أيّ من هاتين مشكلة الوحدة؛ الولاية القانونيّة خاصّة بعامّة النّاس من مسلمين وغير مسلمين، إلّا أنّ الولاية العمليّة خاصّة بالمسؤولين الذين يريدون حمل أعباء البلد الجسيمة على عاتقهم، خصوصاً وأنه بلدٌ إسلاميّ قدّم كلّ هؤلاء الشهداء.

-2الاعتقاد الحقيقي بالجمهوريّة الإسلامي وركيزتها الأساسية من أخلاق وقيم وصولاً إلى المسؤوليّات؛ سواء المسؤوليّة قبال الشعب أو قبال الإسلام.

-3توظيف أفراد أنقياء وأصحاب عقيدة يخدمون الشعب، لا أولئك الذين إنْ استلموا مكتباً في إحدى القرى يجدّدون ذكريات الإقطاعيّين السابقين.

-4فليجعلوا التصدّي للفساد والابتعاد عن الفساد والبهارج مسلكًا ومنهجاً لهم.

-5أن يعتبروا احترام النّاس وخدمتهم خلال فترة حكمهم وتولّيهم لأيّ مسؤوليّة نوعاً من أنواع العبادة وأن يعتبروا أنفسهم خدماً حقيقيين، ومطوّرين للقيم، لا أن يطمسوا القيم بحجج واهية.

المسؤولون آباء المجتمع وعليهم أن يعتنوا بمسؤولياتهم فيما يخصّ تربية المجتمع والسهر عليه، لا أن يقوموا بسبب عدم اكتراثهم ولأجل بعض العواطف واستقطاب بعض الأصوات العاطفيّة العابرة بدعم أخلاق تروّج للطلاق والفساد في المجتمع وينتج عنها انهيار العوائل. الحكومات هي العامل الرئيس في تماسك العائلة وتشكّل من ناحية أخرى عاملاً هامّاً من عوامل تلاشيها. عندما يتمّ العمل بالمبادئ، فسوف يكون الجميع حينها على خطى القائد والثورة والجمهوريّة الإسلاميّة وسوف تنتج عن ذلك منافسة سليمة ترتكز على هذه المبادئ من أجل اختيار الأصلح.

خطاب لإخواني في الحرس الثوري والجيش...

أخاطب إخواني الأعزّاء في الحرس الثوري والمنتسبين للجيش من الحرس: اجعلوا الشجاعة والقدرة على إدارة الأزمات معيار منح المسؤوليات عند اختيار القادة. من الطبيعي أن لا أشير إلى الولاية لأنّ الولاية ليست جزءاً بالنسبة للقوات المسلّحة بل هي أساس بقائها، وهي شرط لا يقبل الخلل.

والنّقطة الأخرى هي معرفة العدوّ في الوقت المناسب والإحاطة بأهدافه وسياساته واتخاذ القرارات والتصرف في الوقت المناسب؛ كلّ واحدة من هذه الأمور عندما لا تتمّ في وقتها سوف تترك أثراً عميقاً على انتصاركم.

وأخاطب العلماء والمراجع العظام

لديّ كلمة مقتضبة من جنديّ قضى 40 عاماً في الساحات للعلماء عظماء الشّأن والمراجع الكبار الذين ينشرون النّور في المجتمع ويمحقون الظّلمات، خاصّة مراجع التّقليد العظام. لقد رأى جنديّكم من برج المراقبة بأنّه لو تضرّر هذا النّظام فسوف يزول الدّين وما بذلتم لأجل قيمه ومبادئه الغالي والنّفيس في الحوزات العلمية. هذه العصور تختلف عن كلّ العصور، فلن يبقى من الإسلام شيء إذا أحكموا سيطرتهم هذه المرّة. النّهج الصّحيح يتمثّل في دعم الثّورة، والجمهوريّة الإسلاميّة وولاية الفقيه دون أي تردّد. يجب أن لا يتمكّن الآخرون خلال هذه الأحداث بأن يوقعوكم في الشّك والترديد يا من يتجلّى فيكم أمل الإسلام. جميعكم كنتم تكنّون الحبّ للإمام الخميني وتعتقدون بمساره. نهج الإمام الخميني هو مواجهة أمريكا والدفاع عن الجمهورية الإسلاميّة والمسلمين الواقعين تحت ظلم الاستكبار في ظلّ راية الوليّ الفقيه. لقد كنت أرى بعقلي المتواضع كيف أنّ بعض الخنّاسين حاولوا ولا زالوا بكلماتهم وتقمصهم مواقف الحق أن يدفعوا المراجع والعلماء المؤثّرين في المجتمع إلى التزام الصّمت والوقوع في الشكّ والترديد. الحقّ واضح؛ الجمهورية الإسلاميّة والمبادئ وولاية الفقيه تراث الإمام الخميني (ره) وينبغي أن يحظى بدعم حقيقي. إنني أرى سماحة آية الله العظمى الخامنئي وحيداً وفي منتهى المظلوميّة. هو بحاجة إلى دعمكم ومساعدتكم وعليكم أيّها الأجلّاء والعظام أن توجهوا المجتمع نحو دعمه عبر خطاباتكم ولقاءاتكم وتأييدكم. فإذا نال هذه الثورة سوء فلن يعود حتى زمن الشّاه الملعون، بل سيعمل الاستكبار على ترويج الإلحاد البحت والانحراف العميق الذي لا عودة عنه.

أقبّل أياديكم المباركة وأعتذر لهذا الكلام، فقد كنت أودّ أن أذكر ذلك خلال تشرّفي بلقاءاتكم المباشرة لكن التوفيق لم يحالفني.

جنديّكم ومقبّل أياديكم.

أطلب العفو من الجميع

أطلب العفو والصفح من جيراني وأصدقائي وزملائي. أطلب العفو والصفح من مجاهدي فرقة ثار الله وقوّة القدس العظيمة التي هي شوكة في عين العدوّ وعائق يسدّ الطريق أمامه؛ خاصّة من أولئك الذين ساعدوني بمنتهى الأخوّة.

لا أستطيع أن لا أذكر اسم حسين بورجعفري الذي كان يساعدني بنوايا طيّبة وأخويّة ويعينني كابن له وكنت أحبّه كما أحبّ إخوتي. أعتذر من عائلته وجميع إخواني المقاتلين والمجاهدين الذين أتعبتهم وأجهدتهم. وبالطبع فإن جميع الإخوة في قوّة القدس شملوني بمحبّتهم الأخويّة وساعدوني وكذلك صديقي العزيز القائد قاآني الذي تحمّلني بصبر وحلم.

لسيم العمراني محمد ابراهيم

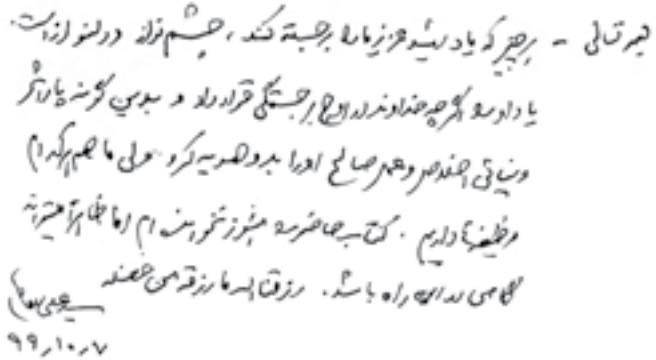
بسمه تعالی - هر چیز که یاد شهید عزیز ما را برجسته کند، چشم‌نواز و دلنواز است. یاد او را اگرچه خداوند در اوج برجستگی قرار داد و بدین‌گونه پاداش دنیائی اخلاص و عمل صالح او را بدو هدیه کرد ولی ما هم هر کدام وظیفه‌ای داریم. کتاب حاضر را هنوز نخوانده‌ام اما ظاهراً میتواند گامی در این راه باشد. رزقنا الله ما رزقه من فضله
سیدعلی خامنه‌ای
۹۹/۱۰/۷

یادداشت حضرت آیت‌الله العظمی خامنه‌ای رهبر معظم انقلاب اسلامی بر کتاب «از چیزی نمی‌ترسیدم»، زندگینامهٔ خودنوشت شهید سپهبد حاج قاسم سلیمانی

بسمه تعالی - هر چیز که یادِ شهیدِ عزیز ما را برجسته کند، چشم‌نواز و دلنواز است. یادِ او را اگرچه خداوند در اوج برجستگی قرار داد و بدین‌گونه پاداش دنیائی اخلاص و عمل صالح او را بدو هدیه کرد ولی ما هم هر کدام وظیفه‌ئی داریم. کتاب حاضر را هنوز نخوانده‌ام اما ظاهراً میتواند گامی در این راه باشد.

رزقنا الله ما رزقه من فضله
سیدعلی خامنه‌ای
۹۹/۱۰/۷

لم أكن شيئاً ولكن أخوف

الترجمه الذاتيه بقلم قاسم سليمانی

SOLEIMANY.IR

المقدمة ٩
الجزء الاول النسخة المطبوعة ١١
الجزء الثانى النسخة المخطوطة بيد الحاج قاسم ٦٥

لم أكن شيئاً

الترجمة الذاتية بقلم قاسم سليمانى

كتبها : الحاج قاسم سليماني
ترجمها الى العربية : محمدعلي آذرشب
مدير عمليات الإنتاج والنشر: مهدي نوري
التصميم الجرافيكي: وهب رامزي
Soleimany.ir

جميع الحقوق محفوظة للناشر

ISBN: 978-97766-3-6

مقدمة

كتابة هذه المقدمة ليست لي بالأمر اليسير. البنات يعلمنَ أكثر أنّ الكتابة عن هذا الحجم الهائل من الحبّ والعاطفة بين الأب والبنت كم هي صعبة خاصة في مطلع كتاب بقلم هذا الأب بعد استشهاده!

كان أبي شهيدًا حتى حين كان بيننا. كأننا كنّا جميعًا نعرف ذلك. إنها حقيقة عشنا معها. متى ماكان يخطر في بالي أنّ يومًا يأتي يغيب فيه هو عن الساحة وأنا حيّة يغمر وجودي كلّه تلّ من الشعور بالعجز والحيرة. هذا كابوس كنت أفرّ منه دائمًا.

قاسم سليماني في حياته كان منظمًا ودقيقًا كما ينبغي أن يكون عليه قائدٌ عسكري. له منهج عملي لكل دقيقة من دقائق حياته. ساعات عمله اليومي وكثافة مسؤولياته لم تدع غالبًا وقتًا لشؤونه الشخصية. لكن شيئًا واحدًا كان مستثنى من ذلك: المطالعة والكتابة. الحاج قاسم كان يرى أنه هو وأيضًا أبناؤه ملزمون بالمطالعة. دائرة كتبه المختارة واسعة: من الشعر الفارسي إلى الروايات الأجنبية إلى الكتب التاريخية والسياسية، ومن كتب

المذكـرات والتراجـم إلى الكتـب العسـكرية.

طريقـة مطالعتـه جذابـة في نوعهـا: يقـرأ الكتـاب بدقّـة، ويكتـب مذكـرات عـلى بدايـة الكتـاب و وسـطه ونهايتـه. وأحيانًـا يعمـد حتـى إلى تدويـن المذكـرات المطولـة في دفـتر مسـتقل. كثـير مـن الكتـب يـؤشر عليهـا بقلـم ملـوّن ويضـع تحـت بعـض عباراتهـا خطًّـا. نعـم، هكـذا كان مأنوسًـا بالكتـاب.

«لم أكـن أخـاف مـن شيء» قصـة حيـاة الحـاج قاسـم كتبهـا بيـده المجروحـة. قصة حيـاة رجـل مـن قلـب قريـة نائيـة في كرمـان يـروي لكـم فيهـا مقاطـع مـن حياته البسـيطة الجذابـة. هـذه قصـة تكويـن شـخصية رجـل انطلـق مـن كونـه راعيًـا للغنـم وعاملا بسـيطًا إلى مرتبـةٍ برفعـة السـماوات وسـعتها.

خـلال العـام الماضي بُذلـت جهـود كثـيرة مـن قِبـل العديـد مـن الكتـاب والباحثين لتدويـن قصـة حيـاة الحـاج قاسـم، تلـك المسـاعي كلهـا انطلقـت مـن دوافـع مقدسـة ومحترمـة؛ ولكـن بسـبب عـدم وجـود معلومـات عـن مقاطـع مختلفـة عـن حياتـه، كانـت المدونـات غالبًـا مخدوشـة وغـير دقيقـة. والآن أصبـح مـلء هـذا الفـراغ متاحًـا أكـثر.

أودّ كثـيرًا أن يعـرف الذيـن رأوا الحـاج قاسـم فقـط ببزتـه العسـكرية كيـف سـما وكَبُر. لم أكـن أخـاف شـيئًا بدايـة رسـالة عظيمـة لمعرفـة رجـل كبـير.

زينب سليماني

جمادى الأولى ١٤٤٢هـ

ديسمبر ٢٠٢٠م

مقدمة الناشر

بـين أيديكـم الترجمـة الذاتيـة للشـهيد قاسـم سـليماني. هـذا النـص المتميـز مـليء بتجـارب عمليـة ذات عطـاء تربـوي. لغـة النـص سلسـلة وصادقـة لدرجـة تجتذب كل قـارئ. هـذه المذكـرات القصـيرة تلقـي الضـوء عـلى الجوانـب غـير المعروفـة مـن أسـطورة علـوّ الهمـة والكوكـب المحبـوب في عصرنـا الراهـن قاسـم سـليماني، لنتعـرف كيـف تبلـورت شـخصيته منـذ الطفولـة حتـى الثانيـة والعشريـن مـن عمـره.

لم أكـن أخـاف شـيئًا أول كتـاب يُنـشر بقلـم الشـهيد السـعيد الفريـق قاسـم سـليماني. اسـم الكتـاب مسـتلٌّ مـن عبـارة تكـررت في النـص ومنسَـجم مـع أبـرز صفاتـه في ذهـن وضمـير النـاس و وسـائل الإعـلام والحكومـات.

لعـلّ هـذه الترجمـة الذاتيـة غـير المكتملـة ليسـت بالحجـم الكبـير، لكنهـا تحمـل خصائـص بـارزة. فالنـص مكتـوب بقلـم الحـاج قاسـم نفسـه. ولذلـك فهـو يعتـبر وثيقـة مـن الدرجـة الأولى. روايتـه مليئـة بالتفاصيـل، ومفعمـة بالصـور الذهنيـة

الدقيقة بلغة حميمة. أولئك الذين عرفوه على أنه قائد محارب شجاع فقط، قد لا يصدّقون أن هذه الرواية بقلم ذلك الرجل. قاسم سليماني في هذه السنوات التي سبقت استشهاده قد كتب هذه السطور من حياته بالتدريج في خلوته وخلال الوقت الضيق لذلك القائد العسكري المقدام. ومع شديد الأسف أن الفرصة لم تتّسع لمزيد من الكتابة.

لم أكن أخاف شيئًا يعتبر أول إنتاج من منشورات «مكتب حاج قاسم». نأمل أن تتواصل هذه البداية لمعرفة الوجه الآخر من الحياة الطيبة لذلك الرجل الفذّ. كما نرجو أن يكون أحباب الشهيد سليماني، بقراءة هذه السطور، أكثر وعيًا وثباتًا وثراء. لتبقَ هذه الذكريات المباركة بحلوها ومرّها دعامة لبناء الأجيال بإذن الله تعالى.

منشورات «مكتب حاج قاسم»

الجزء الاول
النسخةالمطبوعة

أختي هاجر كانت على معرفة بعشيرتنا. كانت]من الدرجة[الأولى في علم أنساب عشيرتنا. بناء على نقل كل الكبار، جدّنا، يعني إبن قربان قيل إنه كان من كبار رجال منطقة فارس. بمعية شقيقه، أو أخيه لأمه بناء على بعض الأقوال، هاجرا من منطقة نَيريز بفارس[1] إلى عيون نهر هليل[2] لا يُدرى أكان ذلك بسبب نفي أو بدافع هجرة. هذا النهر يبدأ من منابع مرتفعات تزيد على ٣٥٠٠م حتى ٤٠٠٠ متر ويطوي مسافة تزيد على ٣٠٠ كيلومتر. وكان يصب في بحيرة جازموريان في انتهاء محافظة كرمان وبداية حدود بلوشستان، بعد الهجرة توطنوا في جميع أراضي المنطقة. ميرقربان كان له أربعة أولاد بأسماء: ولي، ومحمد، وحسين وإبراهيم. وله

١- نَيريز في جنوب شرقي محافظة فارس.
٢- هو أكبر أنهار جنوب شرقي إيران.

بنت واحدة زوّجها لشخص باسم عليداد. كل واحد من هؤلاء الأولاد شكّل بمرور الزمن عشيرة، وداخل كل عشيرة تتشكل أُسر من أبنائهم، لذلك فإن «عشيرة سليماني» من ميرقربان تتشكل من أربع أسر منحدرة من الأولاد وأسرة واحدة من البنت. ويدعون الآن بهذه الأسماء: محمدي، حسيني، إبراهيمي أو أمير شكاري ، مش ولي، عليدادي. والدي و والدتي من أسرة إبراهيمي وأمه من أسرة لُرية.

عشيرتي طولاً وعرضًا بهذا الشكل في جذور النسب والقرابة. لأسباب كانت أسرة إبراهيمي تملك أملاكًا أكثر. طبعًا والدي على مرّ الأيام وفي زمان حياة والده باع بعض أملاكه، وبالتدريج تشكلت داخل العشيرة الطبقة الحاكمة من الخوانين [1]. وبعد وفاة ميرقربان كان خان يعتبر كبيرَ عشيرة سليماني.

كان هناك شخص باسم گرامي خان، وخلّف بعده عدة أبناء باسم محمد علي خان، حسين خان، سيف الله خان، أحمد خان، و ولي الله خان. أقارب والدي كانوا من أسرة ابراهيم، ولشكرخان.. طبعًا بسبب الجذور العائلية أنا لم أرَ في فترة حياتي فسادًا من الخوانين. كانوا بشكل عام يتولون]النظر في[الشكاوى، وحل الاختلافات وحماية عامة العشيرة، والارتباط بالحكومة، وكان لهم كثير من الأملاك، أحد أفضل أملاكهم كان بيد والدي. والدي و والدتي بسبب الوراثة الأسرية كانا يمتلكان سهماً من هذه الأملاك. أمي بنت أسد الله وأمها زهراء كلاهما كانا من أسرية زار الي.

١- جمع خان أو السيد والحاكم.

أما بالنسبة لوالدتي فيظهر أنها بعد مراسيم الخطوبة قد عُقدت على والدي في الرابعة عشرة من عمرها.

فترة العقد في العشيرة قد تمتد إلى سنتين، وعلى أي حال تمّ الزواج.

يروي لي جهانگير: «في يوم الزواج، كان والدك يمتطي بعيرًا. فرّ البعير مع العريس الراكب عليه! بعد مدة استطاعوا أن يعيدوا البعير والعريس راكب عليه!

في بداية الحياة المشتركة]والدي ووالدتي[كان والدي يعيش حياة فقيرة جدًا، ولكن بالتدريج أصبح صاحب ماشية، بحيث كان له أحيانًا راع أو راعيين]لماشيّته[أول ثمرة لحياتهما كانت ولادة بنت باسم سكينة وهذه توفيت على أثر إصابتها بالسعال الديكيي. بعد مدة يسيرة ولدت أختي هاجر وبعدها ولد أخي حسين ثم ولدت أنا عام ١٣٣٧ (١٩٥٨) .

في شتاء شديد البرد أُصبتُ بمرض الحصبة. يئس الوالد والوالدة من شفائي. استعملا جميع الأدوية المحلية لكنها لم تجد نفعًا. بناء على رواية والدي، حين كان الثلج يرتفع حتى أعلى الركبة، كانت أمّي تشدّني على ظهرها وتأخذني إلى رابُر[1] لفحص الدكتور على أي حال شاء الله أن أبقى حيًا.

انشدادي بأمي ولعل انشدادها بي أدى إلى أن أرضع بدل السنتين ثلاث سنوات، وبعد يوم الفطام من الصدر الحنون لوالدتي مرت

١- رابُر مدينة جبلية باردة تبعد عن ٧٠كم عن قناة ملك (قرية سليماني) .

عليّ أيام صعبة، وأمام شدة بكائي، سوّدت والدتي صدرها وكانت تقول: «لولو!»[1] لتبعدني عنه. وحالتي المضطربة استمرت شهرًا. وشيئًا فشيئًا نسيت صدر والدتي، تعوّدت بالتدريج، ولكن مرّت سنوات حتى جفّ اللبن في ثدي والدتي.

قليلا قليلا انتقلت من حضن والدتي إلى الشادر[2] المشدود على ظهرها. وهي في هذه الصورة كانت تشتغل إما بالحصاد أو بجمع العلف أو كنس البيت أو حلب الماشية أو طبخ الطعام والخبز. وأنا على ظهرها في وداعة تامة، كنت أنام هناك. وأرى أن والدتي أيضًا كانت تشعر بالهدوء من حرارتي.

ومع اقتداري على المشي بدأ عملي. كنت أتبع والدتي. برجل حافية أو بحذاء من اللاستيك أشترته أمي من الباعة المتجولين، مقابل إعطاء مقدار من الوبر أو الصوف. مثل ابن البطة كنت أمشي خلفها. في كل يوم كنت أسقط أرضًا عدة مرات أو تنفذ شوكة في رجلي ويدي! كان الدم يقطر من أصابع رجلي، وأمي بدقة وبإبرة الخياطة تُخرج الأشواك من رجلي أو تضع «اشترك»[3] مرهمًا على محل الجروح.

كنت أعشق حلول الربيع. فشتاؤنا صعب جدًا. قميص من البلاستيك كانوا يسمونه: «أغسل والبس» وكانت تخيطه]السيدة[إيران زوجة كرامت كنا نرتديه بدون فانيلة أو رداء. أحيانًا من شدة

١- كلمة تقال للاطفال للتخويف مثل: «بُع بُع».
٢- الشادر هو الزي الإيراني للحجاب في إيران.
٣- ضماد نباتي محلّي معروف في كرمان.

البرد كنا نلفّ أنفسنا بفراش النوم أو بشادر أمّنا.

والدتي كانت تلفّ رأسنا بعصابتها باستحكام كي - على حدّ قولها - لا يدخل الهواء]البارد[في آذاننا. كانت أسناننا تصطك دائمًا من شدة البرودة. والدتي كانت تعطينا في الشتاء مقدارًا من الطعام اليابس كالحجر (لفت مطبوخ ومجفف). ومضغ لفت واحد يستغرق نصف يوم. وكانت تعطينا أحيانًا شيشَت (سنجد) [1] وحمّص محمّص وكرزات، وكانت لا تعطينا ذلك أحيانًا. غالبًا في أيام الشتاء أنا وأختي وإخوتي كنا ندفن البطاطس تحت النار، فنطبخها ونأكلها. وما إن تنقشع الغيوم نتجه صوب الشمس ونجلس جوار بيت صمد الذي له واجهة مقابلة للشمس لندفّئ أنفسنا. وبالتدريج كبرتُ، في الشتاء كنا نلعب بالثلج ونلعب الضميمة[2]. حسين جلالي كان يأتي من «زردلو»[3] ويلعب مع الأطفال. وكان بدون رحمة يوجع الجميع ضربًا؟ للفرار من فصل الشتاء وبرودته الشديدة وصعوباته كنا نتطلع إلى حلول فصل الربيع.

الربيع لنا فصل نعمة: هو أولا فصل الفرار من زمهرير الشتاء وثانيًا هو فصل هجرتنا. ما إن ينتهي النوروز[4] وبعد انتهاء يوم الثالث عشر] من السنة الجديدة[وهو يوم نحس في معتقد

١- غبيراء، ثمرة تشبه العناب.
٢- واحدة من لعب الاطفال ، يختبئ أحدهم والآخرون يبحثون عنه. وتسمى باللهجة المحلية: كالگوبازي.
٣- اسم قرية في منطقة بافت.
٤- أول فصل الربيع.

النساء، تهاجر قبيلتنا في اتجاه ارتفاعات تنگل[1]: حيث الغابة غير الكثيفة الأشجار، وحيث اللوز الوحشي وحيث الأرض المغطاة بالزهور والنباتات، والبستان الكبير بأنواع الفواكه. واد عميق أخضر مليء بجوز بُندَر[2]. ومن شدّة تشابك أشجار الجوز لا تخترقه أشعة الشمس، وعشرات عيون المياه تجري في وديانها الصغيرة لتشكل نهرًا صغيرًا. أشجار الصفصاف الطويلة جدًا وأشجار الحَوَر الأبيض التي تناطح السماء تُلقى ظلاً كبيرًا في البستان.

والدتي كانت تنصبُ بيتَ الشعر عند ضفة مجرى الماء وتضرب حوله حصارًا من القصب.صوت خرير الماء الجاري الذي كان يمرّ وسط خيمتنا السوداء يضفي على الجوّ صفاء، وإن كان الفقر والمشقة يحولان دون أن نستشعر هذا الصفاء.

الربيع فصل الحليب واللبنة، وأصوات ثغاء صغار الماعز والأغنام وصوت انسياب الحليب عند حلب الماعز والنعاج . نساء الأقارب اللاتي ربطن شادرهنّ مع بعضها ويحملن آنية كبيرة مملوءة بالحليب، كنّ يراقبن آنيتهنّ بدقّة كي لا تسقط منها قطرة على الأرض. ومن كان حليبه قليلاً يعمدون إلى طريقة أخرى، يسلّمون أوانيهم الصغيرة من الحليب كي تتجمع وتكون كافية لأسرة واحدة، ثم تتجمع ثانية كي تكفي أسرة أخرى، وكان ذلك يحدث عادة في أول الصيف حين يقلّ لبن الماعز. وفي هذه الحالة حين كنا نطلب

١- هي منطقة مليئة بالأشجار والأحراش على بعد ٦ كيلومتر من رابُر.
٢- على بعد ٣٠ كم من مدينة رابُر.

الحليب من أمنا في الظهر، تقول: «لا يا ابني! اليوم الحليب من سهم خالتك، أو من سهم السيدة إيران زوجة مشهدي عزيز».

في الربيع كنّا نذهب ماشين إلى المدرسة مع أبناء الأقارب علي خاني، وتاج علي، وأحمد، وأبناء صمد، عبر جبال تنگل إلى قرية قناة ملك. وكان طعام غدائنا محمولاً على ظهورنا، وهو عادة حزمة أو حزمتين من الخبز ومقدار من لبّ الكرزات والجبن. وأحيانًا تكون معنا حلوى التمر التي كان يأتي بها إبراهيم، ابن خال والدتي، من گرمسير مع علبة من التمر، كنا قد تعودنا على الحياة البسيطة العادية بسعادتها ومشقتها على أنها جزء من حياتنا، وبسبب الانهماك في العمل المتواصل، لم نكن نشعر لا بالسعادة ولا بالمشقة.

في تلك الأيام لم يكن هناك حمام للغسيل. كانت أمي تملأ قِدراً كبيرًا من الماء وتسخنه جيدًا على النار، ثم تمزج الماء الساخن بماء الساقية البارد وتغسل جسمنا ورأسنا بصابون غسل الملابس وأحيانًا بنوع من النباتات المنظّفة باسم «آشنان».

كنا لا نملك من الملابس أكثر من اثنين وحذاء متهرئًا من اللاستيك. والدتي كانت تغلي الملابس لكثرة انتشار القمّل والبرغوث. ثم تغسلها بماء الساقية وتنشّفها كان يأتي من المدينة مَنْ يرش السموم في البيوت، والوالدة كانت ترشّ ملابسنا بمادة د.د.ت. وهي مادّة خطرة جدًا كي تتعقم بشكل من الأشكال تجاه القمّل والبرغوث.

والدتي كانت تعمل لنا بِست[1]. وأتذكر أنها بعد ذلك حين جئت إلى المدينة وضعت هذا البست مع ما أخذته معي، وحين كنا نصنعه لأبناء المدن ونقدّمه لهم كان جميعهم يظنّ أننا نأكل العجين!

قليلا قليلا كبرنا في برد الشتاء الشديد ونحن في حالة نصف عراة.

منذ بداية الطفولة كانت فيّ حالة عدم الخوف. كنت في العاشرة من عمري حين حلّ الصيف وعطلة المدرسة وحين حلّ فصل حصادنا]كنّا نعمل[من قبل طلوع الصبح حتى غروب الشمس. والدي كان له ثور نطّاح خطر بحيث كان يخافه الجميع. أركبني على ظهر الثور لآخذه إلى قرية أخرى تبعد ١٥كم عن بيتنا، وكانت أكثر اخضرارًا، وهناك بيت عمتي. الثور المغرور ماكان مستعدًا لتلقي الأوامر! كان يضرب برأسه على رجليّ الصغيرتين، وأنا قطعت هذه المسافة وحيدًا راكبًا على هذا الحيوان الخطر حتى وصلت إلى بيت عمتي.

في ليلة أخذني أبي معه إلى البيدر في جوار النهر الذي يبعد عن بيتنا كثيرًا. وفي الليل هجم على البيدر قطيع من الخنازير الوحشية. أنا وأبي ذهبنا إلى أعلى شجرة تين. هجم هذا القطيع على البيدر. والدي ارتفع صوته بالضجيج والحيوانات الوحشية المغرورة

١- يعملونه من أجنّة القمح أو الشعير مطحونة مع الدهن، ثم يعجنونها بالماء. وهو طعام مقوٍ.

لم تعر أهمية لصراخ والدي. وفي جنح الليل خرّبت قسمًا من البيدر أمام ناظرينا أنا ووالدي.

طبعًا لم يكن الأمر سيئًا دائمًا، ولكن في كل فصل الشتاء حتى الشهر الثاني من فصل الربيع كانت أعيننا على أكياس القمح التي تنتهي الواحد بعد الآخر. الوالدة تراقبها بشدّة كي لا نواجه مشكلة، لذلك من أجل أن تحلّ البركة في القمح تضع أحيانًا مقدارًا من البزاليا داخل القمح، ومرة أو مرتين في الأسبوع كانت تطبخ خبزًا من الدخن وتعطينا، وهو خبز أفقر الناس.

في هذه الحالة، وفي هذا العوز، لم يكن بيتنا يخلو يومًا من ضيف. وفي السنة كنّا نأكل الرزّ مرة أو مرتين أيضًا، ويصطلح عليه اسم «قبولي»[1] لم يكن أحد يطبخه لوحده، لكن نساء العشيرة، وكنّ جميعًا بنات عم وبنات خال وبنات خاله، يجتمعن معًا ويطبخن طعامًا نذريًا[2] لاستسقاء المطر أو في بداية الترحال، هدية «للسيد خوشنام، الشيخ خوشنام»[3] وهو لذيذ جدًا. بعض نساء الأسرة كنّ ينذرن قالبًا مخروطيًا من السكر[4] ويضعونه داخل المزار، ونحن كنا نذهب ونأخذ قالب السكر ونأكله!

١- رز مع الحبوب مثل الحمص أو اللوبيا.
٢- أي لوجه الله.
٣- هناك مزارات لعدة سادة (شرفاء) . وهذا الأسم المذكور يطلق على عدة شرفاء، وليس من المعلوم قصد صاحب المذكرات في هذا الاسم.
٤- ويسمى «كلّه قند» أي رأس سكر، وهو سكر معمول على شكل قالب مخروطي.

حاج رفيع الذي لم نكن نعرف أصله ونسبه، ومن أين جاء، كانت له قرية صغيرة. في يوم عاشوراء[1] من كل سنة كان يطبخ الهريسة. ثلاثة أو أربعة قدور كبيرة كان يعدّها لطبخ الهريسة. جميع أهالي القرى في الأطراف كانوا يتجهون إلى بيت الحاج وبأيديهم آنية كبيرة أو قِدر ويأخذوا الهريسة.

جدّي لوالدتي، حاج عبدالخالق، كان قد ذهب من هذا المكان إلى مكة واستغرق سفره سنة كاملة في بعض السنين حين تشتد صعوبة العيش ويضغط الجوع فإن كثيرين يلجأون إلى أكل الحشائش.

كان هناك إلى جوارنا بيت]يعيش أهله[في فقر مدقع. كانت أمي تطبخ الخبز وأطفال الجار يقفون متفرجين. لا يزال وقوف تلك البنتين مجسمًا في ذهني. كانت أمي تعطيهم عدة ربطات من الخبز، وهذا العمل يتكرر يوميًا. في بعض الأوقات أخي حسين ينزعج، وينهرهنّ، لكن الجوع يجعلهن ثابتتين حتى يحصلن على ربطات الخبز! عطلة المدرسة وأخذ شهادة القبول]بمعدل[١٣ [2]، لم يكن له أهمية لي. ماكان مهمًا هو حزمة العصي الموضوعة في الساقية. كل صباح حين كانت أعيننا تقع على حزمة العصي المبيتة في الماء تسري الرعدة في أجسادنا. في صباح أحد الأيام، أخرجني المدير من اصطفاف التلاميذ. طلب مني أن أريه خلف كف يدي، فعلت. بدأ يضربني بالعصي المبللة بماء الساقية. والدي الذي كان

١- يوم العاشر من محرم.

٢- الدرجة في مدارس إيران من ٢٠، ومعدل ١٣ منخفض عادة.

جالسًا في الشمس، سمع صوت بكائي. كانت المسافة بين المدرسة والبيت أربعين خطوة. صاح: «أيها السيد المدير هذا بشرته سمراء، لماذا تضربه؟ مهما ضربته فلا يبيضّ!».

كانت المدرسة يومذاك مشتركة بين البنين والبنات. أختي آذر وأخي حسين كانا مع بعضهما. حين كان المعلم يضربني، أختي التي كانت تتحلى بشجاعة فائقة، تحمل على المعلم بعصا صغيرة وتسبّه وهي باكية وتقول: «لماذا تضرب أخي؟».

كانت الحياة صعبة، تلك السنين كان شتاؤها باردًا وكثير الثلوج. والدي كان قد اشترى لنا جزمة لاستيكية خاصة بالشتاء، لكن الثلج كان أعلى حتى من ظهرنا، ولم تكن الجزمة تجدي نفعًا. ثم إنها لما كانت من اللاستيك فإنها تزيد من شدّة البرودة! في يوم كان بهرام فرجي قادمًا من كُنجون[1]، فأصيب بالانجماد، وأغمي عليه وجاؤوا به]محمولًا[إلى المدرسة.

مدفئة المدرسة مثل موقد الوالدة كانت تجمعنا حولها. كأننا نريد أن نحتضن هذه النار الملتهبة. البرد وقسوة المدير في ضرب العصا والجوع كلها تظافرت علينا.

المعلم كان يدير كل الأعمال، كان آنئذ يوجد «فيلق العلم»[2]. أفراد فيلق العلم كانت لديهم قدرة كبيرة. أحياناً كانوا يقومون

١- قرية على بعد ٩ كم من مدينة رابُر بكرمان.

٢- خريجي الثانويات بعد دورة تعليمية عسكرية كانوا يعملون بدل الخدمة العسكرية لمدة سنتين في مكافحة الأمية للقرى النائية ثم يصبحون معلمين في المدارس، وينتظمون عسكريًا تحت عنوان: فيلق العلم.

بمهمة مركز الشرطة. يأتينا كل عام معلم جديد. أفضلهم كان تشكّري. أول معلم في سنتي الأولى الابتدائية. كان حنونًا جدًا.

كان توزيع البسكويت بين التلاميذ قد بدأ. وحين يفرغون علبة البسكويت ننشرح من رائحة بيسكويت گرجي[1] الذي كان أحلى من لبن الأم! وعندما يدقّ جرس الفرصة بين الدروس كان المدير يوزع البسكويت، أي صفاء كنا نشعره!! لأول مرة آكل البسكويت. لاتزال حلاوة طعمه باقية في فمي.

المدير بصورة عامة كان ضيفًا عند أحد الأهالي والتلاميذ كانوا مكلفين بتنظيف وكنس غرفته، على أي حال كان للمدير عظمته.

كان عامًا جيدًا، وكان ربيعًا مكتملا، حيث النباتات بأجمعها مخضرة ومملوءة بالعلف والزهر والورد الربيعي، والنعاج في حالة شَبَع تام. الفحول يركضون وراء الإناث. أصوات الجرس]المعلقة فيها[قد أسكرها من شدة السرور، الماء الشفاف كالفضة ينحدر من جميع الوديان.

كان الظلام قد أطبق. اتجهنا صوب خيمتنا. حذائي اللاستيكي المتهرّئ والمرقع أربع مرات بالمخيط الساخن كان يتحرك في رجلي

كل أصابع رجلي بسبب اصطدامها بالحجر قد انجرحت وجرى منها الدم! لا يمرّ يوم إلا وتدخل الأشواك في أرجلنا. في النهار كان شغلنا الشاغل إخراج الأشواك بالإبرة. ولم يكن هناك جورب أصلا. في السنة كان لنا حذاءان من البلاستيك، وكنا نشتريها لقاء إعطاء

١- اسم شركة صنع البسكويت.

ما تناثر من الجوز في أطراف الأشجار أو ما بقي من الصمغ على الجذوع. وقمصاننا كانت من نوع «اغسل والبس» تخيطها الخالة كبرى أو السيدة إيران زوجة كرامت.

كان الجو باردًا جدًا، وأحسست قليلا بالبرد يدخل في جسدي النحيف بينما لم يكن عليّ سوى قميص مندرس. الوادي كان قد أطبق عليه الظلام، ونحن الثلاثة أبناء الثالثة عشرة قد ملأنا الوادي بصوت غنائنا. وصوت إنشادي كان أفضل من جميعهم.

النعاج كانت غريزيًا تعرف جيدًا طريق البيت، وكانت تتحرك بارادتها نحوه. في تلك السنة كان الفهد]حيوان[قد شوهد في الوادي. أُشيع أن الدبّ كان موجودًا في أعلى أشجار الجوز. وضجيجنا كان على الأغلب لتخويف الحيوانات الوحشية وكان أيضًا لتسليتنا.

عن بعد سمعنا صراخ رجال القرية. حاج عزيز الله كان في مقدمتهم وجاء بقلق لاستقبالنا. كان يصطحب فأسًا خاصًا قادرًا على أن يفلق رأس الآخر عند النزاع. وقال بلحن عاطفي: «يا أولاد، تأخرتم، صرنا قلقين».

كان نور المصابيح النفطية يُرى بصعوبة من داخل الخيم. الأغنام قد توزعت غريزيًا وكل منها اقتحم بيت صاحبها. وصوت مأمأة صغار الأغنام قد خلقت جوًا بهيجًا. قدرة الله كنا نراها في هذه الحركة. هذا الحيوان الفاقد للشعور]الإنساني[قد منحه الله شعورًا بقدر حاجته بحيث يميّز في الظلام المطبق بيت صاحبه وأيضًا صغاره.

أخي حسين الذي كان يرى نفسه هو الأكبر بعد والدي، وكان

يسعى إلى أن يكون تجاهي آمرًا وناهيًا بالقوة، سارع إلى إحصاء الأغنام ليرى أننا لم نفقد منها شيئًا في الظلام. هذا الإحصاء لم يكن عن طريق العدّ، بل عن طريق الأسماء التي كانت توضع على كل حيوان. فيتفرسها واحدًا واحدًا. أشقر الرأس، أسود الرأسو...

قِدر والدتي الأسود إلى جانب النار يشير إلى طبخ الطعام. رائحته الزكية كانت تزكم الأنوف. من رائحة الطعام عرفت ماهو: الرز مع العدس وهو ماكانت نجيده والدتي جدًا. في السنة لا نأكل الرز إلا عدة مرات. كنا محظوظين حين يكون عندنا ضيف.

كان سيد محمد قد جاءنا، وكان السيد يقرأ الروضة[1] كان يمكث في بيتنا ثلاثة أو أربعة أشهر في السنة. أفضل الطعام كان من نصيبه. الوالد والوالدة كانا يحترمانه كثيرًا. وبمجيء السيد كنا ننال الشبع. كان صديقًا مقربًا من والدي. وبعد أن جرف السيلُ حماره أصبح قليلا ما يأتي إلى بيتنا.

آنذاك لم أكن أعلم، ثم بعدها علمت، أن في عشيرتنا الكبيرة لم يكن أحد مثل والدي ووالدتي يكرمون الضيف. كان في بيتنا ضيف دائمًا، بينما أنا والأربعة من أخواتي وأخي الآخر، وكان اثنان منهما أكبر مني سنًا، نحدّق في كيس الطحين]لئلاّ ينتهي[.

كانت والدتي دقيقة جدًا. أحيانًا تخلط طحين الشعير أو طحين

١- المقصود يقرأ روضة الشهداء، في سرد وقائع استشهاد الإمام الحسين(ع) وأهل بيته وأصحابه.

نبات باسم (كَرو) بطحين القمح. وفي بعض الأوقات، حين لا يكون عندنا ضيف تطبخ في وجبة أو وجبتين خبزَ الدخن. آنذاك كان خبز الشعير والدخن هو خبز الفقراء. واليوم بالعكس. خبز الدخن والشعير - لو وجد - فإنه أغلى من خبز القمح.

على أ حال، بسبب وجود اعتقاد جادٍ في بيتنا بأن «الضيف حبيب الله» لا أذكر أبدًا أن يحدث]تجاه الضيف[عبوس أو إهمال. أكثر الضيوف كانوا غرباء، يمرّون متوجّهين إلى قرية أخرى، فيصلون ظهرًا إلى محل عشيرتنا، ويطلبون الشاي: الشاي بالهيل والقرنفل مما لا تعطيه الوالدة لنا أصلاً، كان لذيذًا جدًا! ثم إذا اقترب وقت الظهر]أو الليل[، كانوا يتغدّون ويتعشّون: بالخبز واللبنة أحيانًا، أو الخبز وخليط الحليب واللبنة، أو البيض أو المرق. وإذا كان الضيف مهمًا جدًا كانوا يذبحون له ديكًا ويطبخون رزًا.

كنت طفلا حين توفيت جدّتي في بيتنا. كانت أمرأة على جانب كبير من التدين وجميلة وفارهة القدّ. كنت أسمع صوت ضجّة] بكاء[الوالدة وخالتي صغرى التي كان بيتها قريبًا منا. خالي الذي كان معلمًا للقرآن، يعيش في ريف باغشاه[1] وتفصله عنّا بقدر وصول صوت نداء. كانت جدّتي قد فارقت الحياة لتوّها.

في بيتنا غرفة واحدة بباب ونافذة، وهي مظلمة بسبب أنها طويلة وأن الغرفة بدون نافذة. سقفها مغطى بالخشب والبناء من اللَّبِن. من داخل الغرفة التي كانت مطبخنا، ومستودعنا، ومحل

١- باغشاه قرية في مدينة رابُر بمحافظة كرمان.

منامنا وجلوسنا تنفتح باب على غرفة أخرى حيث محل التبن. في فصل الصيف كانوا يجمعون التبن والنبات اليابس كي يكون علفًا للأغنام حين يندر العلف أو حين ينزل الثلج ويتعذّر إخراج الأغنام.

في عشيرتنا كانت امرأة باسم حُسنيه، في الخمسين من عمرها ومصابة على الظاهر بالسل. كان الجميع قد تركوها. والدي حملها على ظهره وأتى بها إلى بيتنا. والدتي اعتنت بها حتى فارقت حسنيه الحياة. لم أرَ أبدًا بين والدي ووالدتي خلافًا بهذا الشأن.

على أي حال، والدتي صبت الرز لكلينا]انا وهي[في صحن غير مملوء. ولكن ملأت تمامًا صحن والدي وسيد محمد، سيد اعترض على والدتي. وكان يقول لوالدتي: «يا أخت لماذا تجعلين هذا شريكي أنا العجوز؟ سوف يأكل ذلك بأجمعه!» على أي حال أكلنا حتى الشبع الكامل.

والدي من المواظبين على الصلاة، حينذاك كان الذين يؤدون الصلاة معدودين، لكن والدي كان مقيدًا جدًا أن يؤدي الصلاة في أول وقتها. يشخص]وقت[صلاة الصبح بالنجوم وصلاة الظهر عن طريق الظل. طبعًا في ذلك الوقت لم يكن أحد يهتم بقراءة الحمد والسورة]بشكل صحيح[لذلك تشوب الصلاةَ غالبًا أغلاط وأخطاء.

وكما كان مقيدًا بالصلاة، كان كذلك بالنسبة إلى الحلال والحرام، أفراد عشيرتنا يعرفونه بالاستقامة، وحين ذهب إلى مشهد اشتهر باسم «مشدي حسن»[1]. وزكاة ماله سواء كان من القمح أو الشعير

١– كما أن زائر مكة يأخذ لقب : حاج، كذلك كان زائر مدينة مشهد

أو من الأغنام يسلمه لسيد محمد في موقعه.

الظاهرة الأخرى هي أن والدي كان ملتزما بالغُسل حين كان ذلك نادرًا في عشائرنا، حتى في برد الشتاء يغتسل في قناة القرية! لا أنسى أنه اختلف مرتين مع والدتي حول هذه الموضوعات. كنّا منذ الطفولة نحبّ شهر رمضان. في هذا الشهر يضعون مذياع المدير على خشبتين خلف حائط مبنى المدرسة، ويفتحونه في السحر، ليصل صوته إلى بُعد ثلاث قرى!

في تلك السنة حلّ شهر رمضان في فصل الصيف، وعشيرتنا نصبوا خيامهم جوار ساقية ماء تنگل. كان الماء يمرّ من بيتنا. الماء في صوت نسيابه في الليل وضوؤه وزلاله في النهار، وبرودته ونظافته المميزة بسبب تدفقه من عيون مليئة بثلوج جبل تنگل، كان يصقل روح أي إنسان. والدي نادى والدتي بصوت مرتفع: «لا يحق لك أن تعطي طعامًا لمن لا يلتزم بالصيام» أجابته والدتي: «حسن...» وهو اسم والدي دائمًا على لسان والدتي: «أنا لا أستطيع أن أمنع الطعام عن الضيف». وفي مرة كان يوصي والدتي أن لا تجمعينا مع من لا يؤدي الصلاة. سلوك أبي وأمي واهتمامهما بهذه المسائل قد أوجد فينا حبًا للدين بدون أن نعرف حقيقة الدين وأصوله وفروعه.

أخي حسين، كان قد ألصق صورًا كثيرة للاعبين ومغنين على الحيطان الطينية المسودّة للبيت. والدي مزّق في أحد الأيام

حيث مثوى الرضا(ع) ثامن أئمة أهل البيت يلقب بمشهدي وللتخفيف يقال مشدي.

جميعها. وقال: «هذه موضوعة مقابل القبلة مقابل الصلاة». انزعج أخي، فنال]خبراء ذلك[الكثير من الضرب!

كان الاهتمام كثيرًا بالزيارة]والذهاب[إلى أبناء الأئمة[1] و]طبخ[حساء النذر. والحساء لاستنزال المطر أكثر أهمية. في كل عشيرتنا كان وليد أول نعجة]يهدونه[إلى الإمام الحسين عليه السلام، يحبسونه في البيت أربعة إلى خمسة شهور ويقدّمون إليه العلف. فكان هو أسمن الأغنام، ثم في فصل الهجرة، يتلون روضة]مجلس عزاء[الإمام الحسين عليه السلام، ويذبحون الخروف، ويعملون عشاء سخيًا. وهذه التقاليد لاتزال موجودة. ولكن مجالس العزاء للإمام الحسين عليه السلام في أيام فصل الهجرة أي أول الخريف يعمل بها الفقير والغني على حدّ سواء.

راعي الأغنام وصاحب الأغنام على حدّ سواء كانوا يقيمون مجلس عزاء الإمام الحسين عليه السلام . سيد مهدي قارئ الروضة كان لمدة شهر كامل يقرأ الروضة]مجلس عزاء الحسين[ظهرًا ومساءً في هذا البيت وذاك البيت. وكان من نصيبه فخذ الخروف إضافة إلى خمسة تومانات أو تومانين، أيام مجالس العزاء من الأيام البهيجة لنا. ففيها نشبع تمامًا. الكبار يجلسون في مقدمة المجلس ونحن في المؤخرة.

كانوا يوزعون الشاي ، لكني أنا وأخي، بناء على توصية والدي ماكان يحق لنا أن نتناول شيئًا يبعث على الإدمان، لذلك كان الشاي

١- هي مزارات أبناء أئمة أهل البيت(ع) ويسمون المزار «امام زاده».

والتدخين ممنوعًا. بدل ذلك كنا نأخذ حبّة سكر ونأكل السكر الذي يرافق الشاي. في يوم ذهبت إلى بيت أحد أقاربي لإنجاز عمل. كان إبريق الشاي على النار[1]، رائحة عطر الشاي والقرنفل كانت قد ملأت المكان قال: «عمي، هل تشرب الشاي؟» قلت: «نعم».

شربت ثلاثة كؤوس من الشاي الغامق مع حبة سكر كبيرة، ولا يزال طعمها في ذائقتي.

في ليالي الجمعة كنت أقرأ قصة حل المشكلة[2] لبيتنا ولغيرنا من الأقارب المجاورين. بعضهم كانوا يقدّمون لنا بعد انتهاء القصة الحمّص المحمّص والزبيب، وبعضهم ممن كان لا يملك ذلك يقدم قليلا من حبات السكر. كنا نملأ جيوبنا ونلتذ بمضع حبات السكر.

كان الصيف على وشك الانتهاء. والبيوت]الخيام[في حالة جمعها لنعود إلى قبابنا[3] الطينية. لذلك كان الجميع يعقدون واحدًا بعد الآخر مجلس الروضة. عشيرتنا عادت صوب البيوت الشتوية.

والدتي أصيبت بالصداع في ذلك اليوم وحين تصاب بالصداع فإنها أحيانًا تنهار من شدة الألم. أنا وأخواتي جلسنا عند وسادة والدتي وكنا نبكي. كنا دائمًا قلقين خشية أن نفقد والدتنا. وما إن تصاب الوالدة بالصداع حتى تعترينا رجفة، غير أن حال والدتي في ذلك اليوم كان

١- أي على الموقد.

٢- هي قصة حطّاب عجوز توسّل بالإمام علي(ع) لحل مشكلته فانحلت . وفي هذا المجلس بعد قراءة القصة يوزعون عادة كرزات (آجيل) خاصة بهذه المناسبة.

٣- البيوت المبنية على شكل قباب.

بشكل آخر. تكلمت مع والدي بصوت خافت. قالت مرات: «الله كريم».

والدي – رغم نحافة جسمه – كان قويًا جدًا وشجاعًا. هذه الشجاعة قد أوقعته في أحد الأيام بورطة. العُمدة (المختار) حبيب الله خان جاء إلى القرية. كان الثلج قد تساقط ذلك اليوم، ورجال القرية كانوا جميعًا جالسين يتشمّسون ويتسامرون. نحن الصغار كنّا نلعب بالثلج، حبيب الله خان أعطى لكل رجل في القرية مقدارًا من الافيون[1]. واستثنى فقط مريد محمد الذي كان يتعاطى يومذاك هذه المادة. ضحك أبي وقرأ هذا البيت من الشعر: «عطاء الكبار يصل إلى الناس في وقت لم تعد الحاجة موجودة إليه»[2] انزعج العمدة ووجّه كلامًا قاسيًا إليه.

على أي حال اتضح أن أخي الأكبر كان قد علم بقلق والدتي بشأن قرض والدي لبنك التعاون القروي. كان والدي مقروضًا مبلغ تسعمائه تومان. لهذا السبب كان يكثر التردد على بيت العمدة لعله يجد حلاً لذلك. والدي أقلقني أكثر من والدتي. وقد بكيت مرارًا خوفًا من أن يزجّ والدي في السجن.

وأخيرًا، قرر أخي حسين أن يذهب إلى المدينة بحثًا عن عمل ودّعته أمي وهي باكية. عاد بعد أسبوعين، ولم يستطع أن يفعل شيئًا. لقد تضاعف خوفي الآن، قررت أن أذهب إلى المدينة لأسدّد

١– كان هذا العرف سائدًا في ذلك اليوم بإيران على أنه نوع من الضيافة.
٢– أي إن كبار القوم يدرّ سخاؤهم حين تنتفي الحاجة إلى هذا السخاء.

قرض والدي بأي شكل من الأشكال. الوالد والوالده كلاهما عارضا ذلك، كنت قد دخلت لتوّي في الرابعة عشرة من عمري، ثمّ أنا صبي ضعيف لم يغادر من قبل قريته رابُر. أبديت كثيرًا من الإصرار. كنا أنا وأحمد[1] وتاجعلي[2] مثل ثلاثة أخوان عقدنا موعدًا، وعزمنا على الذهاب إلى المدينة. حمّلتني أمي لحافًا وصرّة خبز وخمسة تومانات وسلّمتني إلى أحد أقاربي]واسمه نوروز[وأوصته بي كثيرًا، وركبنا باص مهدي بور[3].

الباص وصل ليلا إلى كرمان . ولأول مرة أرى سيارات بهذا الصغر (فوكس واگن وپيكان) . كنت مستغرقًا في النظر إليها إذ وصل الباص إلى محل ميدان باغ»[4]. جميع المسافرين ترجلوا سوى نحن الثلاثة. ترجلنا معًا عند الميدان، باللحاف والصرّة المشدودة على الخبز والجبن. كنا ننظر إلى الناس بدهشة وهياج وكأننا نرى بشرًا لأول مرة. جلسنا في زاوية من الميدان، ساورنا خوف من نظرات الناس الذين كانوا يمرون وفينا يحدّقون. بقينا حيارى إلى أين نذهب . بيت عبدالله هو المكان الوحيد الذي نعرفه، لكننا نحن الثلاثة لم نكن نعرف كيف نأخذ التكسي ولا نعرف العنوان.

نوروز الذي جعلتني والدتي بمعيته كان قد جاء إلى المدينة عدة

١– احمد سليماني (١٩٥٧–١٩٨٣) ابن عم قاسم، وقائد شهيد.
٢– تاجعلي سليماني (١٩٥٧–١٩٨١) من الشهداء ووصيته معروفة.
٣– مهدي بور اسم سائق الباص. توفي سنة ٢٠١٩.
٤– ميدان باغ أي ميدان البستان، ويسمى مفرق باغ ملي أي البستان الوطني.

مرات، ويعرف المدينة. استوقف سيارة صغيرة برتقالية اللوث يسمونها «تكسي» وقال: «تكسي، انتهاء خاجو».

ركبنا في التكسي نحن الأربعة، واتجه صوب خاجو. بعد بضع دقائق كنّا في أقصى مدينة كرمان. ترجلنا من التكسي، وعلى أساس معلومات نوروز توجهنا إلى بيت عبدالله كنت أحمل متاعي بصعوبة. على أي حال وصلنا بيت عبدالله، كان في البيت ثلاثة أو أربعة من أبناء قريتنا، رحب بنا عبدالله كثيرًا. وبرؤية عبدالله سعدي غمرنا السرور. لقد شممتُ رائحة أبناء قريتنا، رائحة أمي، أقاربي، رائحة قريتي، وخرجت من حالة الغربة.

كان الجميع يعتقدون أن أحدًا سوف لا يستخدمنا أنا وتاجعلي. أحمد بدأ يعمل في بيت أحد المهندسين. في الليل تناولنا حتى الشبع الخبز واللبنة. وبدأنا من صباح الغد بالبحث عن عمل.

]تاج[علي الذي كان قد سبقني في المجيء كان لنا دليلا جيداً. أمام كل محل وكافية ومطعم ومعمل كنا نسأل «ألا تريدون عاملا؟» الجميع كانوا يلقون نظرة على قامتي القصيرة، وجثتي النحيفة فيجيبون بالردّ. وأخيرًا، دخلنا بناية يجري العمل على إكمال بنائها. كان عدد من الصبيان والشباب ذوي البشرة السمراء مثلي، يعملون بحيوية وشطارة، أحدهم يعدّ الإسمنت، والآخر يحمل كاسة الإسمنت، وآخر يأتي بالطابوق إلى محلّ العمل. وشاب آخر يرمي الطابوق بأمر البنّاء إلى الأعلى. الأسطة[1] علي الذي عرفته

١- هو البناء المشرف على العمل، ويسمى بالفارسية «اوستا» أي الأستاذ

من نداء الشباب أن اسمه «اوستا علي» ألقي نظرة عليّ وقال: «ما اسمك»؟

قلت: «قاسم»

كم عمرك؟

قلت: «ثلاثة عشر عامًا»

ألم تدرس في المدرسة؟

تركت.

لماذا؟

أبي مقروض.

تجمع الدمع في عيني، ارتسمت أمامي صورة وضع القيد في يد والدي، جرت دموعي على وجنتيّ وشعرت، وقلبي قد اشتعل شوقًا لوالدتي. قلت: «يا سيد أسألك الله أن تعطيني عملا!». المعلم انكسر قلبه وقال: «تستطيع أن تأتي بالطابوق؟» قلت: «نعم» قال: «أعطيك تومانين يوميًا شرط أن تعمل». فرحت بأني وجدت عملا. رفع «الأوستا» صوته وقال: «تعال في الصباح إلى العمل في الساعة السابعة» قلت: «غدًا يا أسطه؟» تذكرت أن أصحاب المدن يقولون للصبح، غدًا. قلت: «علي عيني». فرحت وتوجهت إلى بيت عبدالله، محل استراحة أبناء قريتنا، أخبرت الجميع بحصولي على عمل.

في الصباح خرجت ووصلت قبل نصف ساعة من موعد الأسطة. لم يكن أحد هناك، بعد عشرين دقيقة جاء أحد العمال. وبعد قليل

أو الأسطة.

جاء الأسطة. بدأت بنقل الطابوق من الممر إلى داخل المبنى. يدي الصغيرة ماكانت قادرة على حمل طابوقة واحدة! مهما كان الأمر بدأت بالعمل. قرب المغرب أعطاني الأسطة تومانين وقال: «تعال ثانية في الصباح» .

ستة أيام كنت فيها مشغولا بالعمل من بعد طلوع الشمس حتى قرب المغرب أمام باب المبنى الذي يجري العمل على بنائه في شارع خاجو. ماكنت أطيق عملاً كهذا بنحافة جسمي وصغر سني. كان الدم يجري من يدي الصغيرة، وفي العصر بعد انتهاء العمل أضاف الاسطة عشرين تومانًا وقال: «هذه أجرتك الأسبوعية». أصبح عندي الآن ثلاثون تومانًا تقريبًا. اشتريت بتومانين بيسكويتًا صغيرًا من نوع «مينو»[1]. وبخمسة ريالات أربع موزات، انتشيت كثيرًا. زال التعب كلّه من جسمي. لأول مرة آكل الموز حتى طريقة أكله تعلمتها من شاب كان يناول الطابوق إلى الأسطة. تذكرت ذلك اليوم الذي كنت أمشي راجلاً مع أحمد من رابُر في اتجاه قريتنا. معلم رابُر المعروف حسيني نسب كان منشغلا مع صديقه بتقشير التفاح. وكان وهو ماشٍ يلقي بقشور التفاح على الأرض. وأنا وأحمد خلفه نجمع القشور ونأكلها.

لايزال طعم بيسكويت «گرجي» الذي كان يأتي في صناديق إلى مدرستنا للتغذية، ويقسّمها المعلم بيننا حاضرًا في فمي. لا تزال أية حلوى لا تبلغ طعم ذلك البيسكويت في المدرسة ونحن في عالم

١- مينو، وگرجي أسماء شركات إيرانية لصنع البسكويت.

الطفولة والجوع.

يوم الجمعة توجهنا أنا وتاجعلي، وعليخاني نحو قناة «سرسبيل لنغسل ألبستنا والدتي كانت قد وضعت ثوبًا وتومانًا واحدًا في الصرّة.

ساقية المياه الزلال الجارية التي كانت تسقي أرضًا جميلة، ذكرتني بقريتي البهيجة. في البداية غسلنا أنفسنا بالماء وصابون غسل الملابس، بعدها ارتدينا الملابس الجديدة، وغسلنا ملابسنا. ماكانت ليدي القدرة على غسل الملابس، على أي حال غسلناها.

في الليل عملنا في بيت عبدالله طعامًا من البيض والطماطم وأكلنا. عبدالله كان يعتقد أني لا أستطيع مواصلة هذا العمل، ولابد أن أسعى لعمل آخر. عددت نقودي مرة. كانت المسافة لا تزال بعيدة لتصل إلى تسعمائة تومان. تذكرت أمي وأخواتي وإخوتي. وضعت رأسي تحت اللحاف وبكيت، ثم استسلمت للنوم وأنا أبكي.

ارتفع صوت الأذان، كنت أؤدي الصلاة منذ طفولتي، وإن لم أكن أعرف كثيرًا من أحكامها بشكل صحيح. تذكرت صلاة والدي إذ كان دعاؤه بعد السجود يزمزم دائماً ويدعو:

إلهي أسألك بعزّك وجلالك أن لا تذلّني

لا تجعلني خَجِـلا بسب الذنوب.

أنا خَجِـل تجاهك.

فلا تجعلني خجلا عند أحد[1].

١- هذه المناجاة فيها بالفارسية أيقاع خاص.

أديت الصلاة. تذكرت مزار «سيد خوشنام وپير خوشنام» في قريتنا توسلت به ونذرت]لله[أن إذا حصلت على عمل جيد فإني سآخذ مخروطًا من السكر[1] إلى مزاره.

في الصباح تحركنا مع تاجعلي وعبدالله، ومررنا على المحلات والكافتريات وبيع الكباب وعلى كل باب مفتوح: «أيها السيد ألا تحتاج إلى عامل؟» كلهم كانوا ينظرون إلينا نحن الاثنين ونحن هزيلان ضعيفان وبدون مظهر! ويقولون: «لا». محل بيع الكباب قال لنا صاحبه: «أريد واحدًا منكم بأجره أربعة تومانات يوميًا» ذهب تاجعلي وأنا بقيت. كان افتراقي عنه في هذه المدينة صعبًا. كلانا مثل أطفال مسلم[2] نظرنا إلى بعضنا غلب عليّ البكاء. جرّ عبدالله يدي، مشيت كنت أنظر خلفي حتى نهاية الشارع. أردت أن لا أنسى العنوان. تاجعلي كان يبكي. صاح: «قاسم، صديقي...» لم أسمع بقية كلامه.

بدأ البحث ثانية . هاهي ثلاثة أيام كنت أطرق فيها كل باب مفتوح من الصباح حتى المساء، وبعض الأبواب كنت أنساها فأسأل من فيها مرّات.

وصلت إلى شارع كان فيه عدد من الفنادق والنُزُل . سألت أصحابها واحدًا واحدًا. كانوا يقبلون في البداية، وبعد ساعة يرفضون! وصلت إلى نهاية الشارع . صعدت من سلّم أحد الأبنية فسمعت

١- يسمى بالفارسية «كله قند» وهو قالب مخروطي من السكر.

٢- هذا تعبير عن طفلين تائهين. وأطفال مسلم هما أبنا مسلم بن عقيل اللذين شُرّدا بعد واقعة كربلاء.

صوت همهمة كثيرة. رائحة الطعام كانت قد ملأت المكان حتى كدت أن يُغمي عليّ. كانت صواني (أطباق) الطعام تتنقل بيد رجل كهل بسرعة. كان يجلس خلف الطاولة رجل بدين، ويعدّ النقود. حزمة من النقود! كنت مستغرقًا في مشاهدتها ، وشامتي سكرت من رائحة الطعام.

الرجل البدين ألقى نظرة عليّ، وسألني بشيء من الخشونة: «ماذا تريد؟» وبصوت حزين قلت: «ألا تريد عاملاً؟» كان صوتي حزينًا لدرجة أنني أنا أيضًا بكيت. تغيّرت ملامح الرجل قال: «اصعد» صعدت عدة درجات قصيرة. نظر إليّ بحنان. قال: «ما اسمك؟».

قلت: «قاسم»

وما لقبك؟

سليماني.

ألست تدرس في المدرسة؟

بلى سيدي، ولكن أريد أن أعمل أيضًا.

الرجل نادى: «محمد، محمد،!» جاء رجل كهل. قال: «نعم، حاج» قال: «هات وجبة طعام» بعد دقائق جاء بصحن رُز ومرق أراه أول مرة. بعدها فهمت أنه يسمى مرق خضروات[1]. قال : «ضعه أمام هذا الصبي».

الطبيعة العشائرية ومناعة طبع والدي ووالدتي لم تسمح لي أن

١- مرق يصنع من أنواع الخضروات مع الفاصوليا واللحم ويسمى مرق «سَبزي».

آكل بهذه الصورة. قلت: «لا، عفوًا، أنا شبعان». بينما كنت من الجوع والتعب لا أقوى على الحركة. الحاج، الذي عرفت فيما بعد أنه الحاج محمد قال بعبارة تفيض عاطفة: «ولدي، كل». أكلت ما في صحن الطعام حتى النهاية، وشربت قنينة ببسي التي كنت رأيتها في المدينة.

الحاج محمد قال: «تستيطع أن تعمل، وأن تنام هنا. وأعطيك خمسة تومانات يوميًا. وإذا عملت جيدًا فأزيد من راتبك». فرحت فرحًا شديدًا. وشكرتُ مزار «سيد خوشنام پير خوشنام» لأن مشكلتي قد انحلت.

الحاج محمد أودعني عند محمد. كان من أهالي جيرفت. أخذني محمد إلى داخل المطبخ، كان الطباخ أبيض البشرة وبدينًا جدًا. نظر إليّ بشزر. وخاطب محمدًا بنبرة حادّة: «من أين أتيت بهذا الطفل؟ هل هنا ملعب أطفال؟! أريد عاملاً لا طفلاً».

اضطربت بشدّة، رأيت كل أحلامي تتبدّد، الرجل الأبيض البشرة واسمه يوسف كان مشغولا بالنزاع مع محمد إذ دخل شاب آخر، وقال بلهجة ليست غريبة عليّ: «مابك يا سيد يوسف؟» يوسف أجاب بحدّة: «ماهذا الذي أتيتم به؟! طوله لا يصل إلى طول أحد القدور. كيف يستطيع أن يساعدني؟».

الشاب الذي كان بالصدفة اسمه قاسم قال: «من أية مدينة أنت؟». قلت: رابُر» انشرحت أساريره قال: «من رابُر نفسها؟» قلت

«لا، من كُن ملك»[1] تبسم قاسم وقال: «أنا من أهالي جوران»[2]. كدت أبكي من فرحي. جوران قريبة من عشيرتي. فيها عدة دكاكين، ووالدي كان يتعامل معهم. والدي كان يعطيهم الصوف والقطن واللبن الجامد والدهن، ويأخذ بضائع أخرى. سأل: «ابن من أنت»؟ قلت: «ابن مشهدي حسن». كان يعرف والدي جيدًا، والدي كان معروفًا في جوران. قال ليوسفي: «هذا ابن مدينتنا». فأسكت يوسفي.

أصبح قاسم أهم من يدعمني، فهو يحميني ويراقبني. نقلت أمتعتي من بيت عبدالله إلى فندق كسرى وبدأت بالعمل. ستة أشهر وأنا الآن أعمل. اشتقت أيّما اشتياق لوالدتي وإخوتي وأخواني. يزدان پناه كان له صهر روحاني. كان يأتي إلى هناك بين الفينة والأخرى. من أجل الحصول على عائد أكثر، اشترينا عصارة فواكه وبدأنا بالعمل ببيع العصير على قارعة الطريق. في أيام الجمعة كنا نجتمع أنا وأحمد وتاجعلي وعليخاني.

المسافرون القادمون إلى هناك كانوا يتعجبون حين يروني ويرون صغر سنّي. بعضهم يصرون متطوعين على دفع نفقات دراستي. في مرة جاءت امرأتان محجبتان متقدمتان في العمر. في تلك الأيام كانت النساء المحجبات قليلات. إحداهنّ قد غطت وجهها أمامي أنا الصبيّ قالت: «ولدي، ما اسمك؟» قلت: «قاسم» قالت: «عزيزي

١- كَن ملك: أي قناة ملك، وكن تعني باللهجة المحلية قناة.

٢- جوران أو مرجان قرية ذات جوّ لطيف على بعد ١٢ كيلومترا شرق رابُر.

قاسم، هل تأتي معي لأساعدك على مواصلة دراستك؟» أصرّت كثيراً. قلت: «لا! أنا بهذا العمل أستطيع أيضًا أن أدرس».

في الليل بدأت بهدوء أعدّ نقودي. كانت جميع العملات من فئة تومانين وعدد كبير من فئة ريالين[1]، وخمسة ريالات، ونصف ريال. وجميعها ١٢٥٠ تومانًا! كدت أطير من فرحي. نجحت بعد خمسة أشهر أن أبعث ألف تومان إلى والدي، لعلها أكبر انتصار ونجاح لي حتى ذلك الوقت. فأخيرًا نجحت في تسديد قرض والدي.

تسعة أشهر كانت قد مضت على مجيئي. لم أعد ذلك الصبي الأسمر الضعيف. لقد دبّت في جسدي الحيوية وشعرت بنشاط الشباب في وجودي. بمعية تاجعلي اشتريت بدلة بنية فاتحة اللون. قيمة مجموع اللباس والحذاء كانت مع بعضها لا تبلغ مائة تومان، واشتريت قميصًا أحمر بتومانين.

كنت مشتاقًا لوالدتي جدًا، لعلني خلال الأشهر التسعة بكيت لذكرها عشرات المرات. ملأت حقيبة بالهدايا التي اشتريتها للجميع. ونحن الأربعة (أنا، وأحمد، وتاجعلي، وعليخاني) اشترينا تذكرة سفر من كراج اتوتاج، وبسيارة مهدي بور تحركنا صوب قريتنا.

كنا في حالة سرور ، وكان الثلج قد تساقط بكثرة وغطّى كل مكان بلون أبيض. تذكرت السنة الماضية إذ سقط الثلج بارتفاع يبلغ بطون الأغنام. وأنا بدون خوف من الذئاب التي كانت تكمن في فصل الشتاء للأغنام. كنت أذهب إلى الغابة بالاغنام الجبلية.

١- التومان يعادل ١٠ ريالات.

كان والدي في تلك الأيام قد اشترى لشتائي جزمة لاستيكية.

عطبت السيارة قرب بزنجان[1]. مشينا مسافة. وفي وسط الطريق ركبنا سيارة بهلوان من نوع جيب. وصلنا قرب المغرب إلى قريتنا. كل أقراننا وحتى الأصغر منهم، أحمد ابن خداكَرم، وغلامعباس وعلي محمدي جاؤوا لرؤيتنا. الملابس الجديدة والجميلة، والبشرة التي مالت إلى البياض، قد شجعت الجميع على الذهاب إلى المدينة! والدتي ووالدي كانا مسرورين جدًا. والدتي ذبحت ديكًا صغيرًا وأعدت عشاء سخيًا. قسّمتُ الهدايا بين الجميع. وكنتُ قد أتيت لكل من الأختين العزيزتين عندي جدًا بهدية.

كنت قد اشتريت كاميرا من نوع لبيوتور. التقطت صورًا مع أبناء قريتي. كان والدي مسرورًا جدًا. كان يسألني باستمرار: «ولدي عملك شاق؟ شركاؤك في العمل هل يتعاملون معك بشكل جيد؟» وكنت أردّ على أسئلته بالإيجاب.

بعد عشرة أيام، عدنا نحن الثلاثة، لكن هذا السفر يختلف عن السفر السابق، لم يعد يساورنا خوف من المدينة. لم نكن نشعر بالغربة. السيارات لم تكن عجيبة.

بعد العودة، بدأت بممارسة الرياضة: في البداية ذهبت إلى حفرة زورخانة عطائي[2]. ثم ذهبت إلى زورخانة جهان. رحم الله عطائي رغم أنه كان يملك جسدًا رياضيًا، لكنه لم يكن يمارس الرياضة

١- بزنجان مدينة جبلية تاريخية على بعد ١٥١ كيلومترا من كرمان.
٢- سيأتي توضيح معنى هذه المصطلحات في الرياضة التراثية لاحقًا.

بسبب آلام في رجله. الجميع كانوا أكبر مني في نادي جهان، كان هناك رياضي قوي الجسم أصبح بعد الثورة من أصدقائي باسم عباس زنگي آبادي. كان يضرب السنگ (الحجر) أكثر من خمسين مرة، ويسبح مائة مرة. وكان لي صديق آخر باسم عطاء. كان سائق تكسي. إذا قبض على يدك لا تستطيع أن تتخلص من يده. أول درس في الكاراته بكرمان ولأول مرة تأسس على يد المرحوم وزيري، كنت من الشباب الذين انخرطوا]في هذا الدرس[. كنا جميعًا ثلاثين شخصا. تجاوزت الحزام الأخضر[1].

بين هاتين الرياضتين كنت أمارس يومين في الأسبوع أيضًا رفع الأثقال والكمال الجسماني.

بالتدريج صرت أفكر في استئجار بيت. بمعية أحمد وعلي محمدي اللذين كانا قد التحقا بي في الفندق. استأجرنا غرفة من امرأة عجوز باسم آسيه في شارع ناصريه آنذاك (هو شارع الشهيد باهنر الآن) بعشرة تومانات شهريًا.

الرياضة والايمان بالوديعة الدينية من والدي ووالدتي أدت إلى أن لا أنجرّ إلى الفساد رغم شدّة الفساد في المجتمع آنذاك كلام الحاج محمد وسيد مجتبى قد أثر فيّ كثيرًا.

أول مرة سمعت فيها كلمة معادية للشاه كانت سنة ٥٣ (١٩٧٤). كنت منشغلا في حديث مع علي يزدان پناه داخل صالة

١- هو رتبة من مهارة الكاراته تبدأ بالأبيض وتنتهي بالأسود ويظهر أن الحزام الأخضر هو المرتبة الرابعة.

تناول الطعام. في الرابع من شهر آبان ٥٣(٢٥ اكتوبر ١٩٧٤) يوم ميلاد الشاه. كنت أقرأ في صحيفة شعرًا منشورًا بمناسبة ميلاد ولي العهد. رأيت]صاحبي[قد انزعج. قال: «أتعلم أن هذا الفساد كله وراءه هذه الأسرة نفسها؟!» امتعضت وقلت : «أي فساد؟!» تحدث علي عن عري النساء ومراكز الفحشاء. كلامه أسكتني. كان الشاه آنذاك في ذهني شخصًا مهمًا. كان وقع كلامه كوقع المطرقة على أفكاري.

شعرت بالذهول لأيام. علي كان قد اختار طريقه جيدًا. كان واثقًا من الحاج محمد] والده[. فهو رجل متدين. ذهبت إليه، ونقلت له كلام ابنه علي. وضع يده على أنفه وقال بشدّة: «هيس.. هيس!». شعرت بالخوف، تَلَفتُّ لم يكن أحد هناك. تعجبت، حاول الحاج محمد بلطف أكثر أن أنسى كلامي.

في اليوم التالي، ناداني الحاج ثانية وسألني: «طبعًا لم تقل لأحدٍ شيئًا؟!» قلت «لا» أهداني عشرة تومات، قلت: «ولكن أريد أن أعرف: هل علي صادق في قوله: إن الشاه وراء كل هذا الفساد؟». الحاج محمد تلفّت إلى أطرافه. قال: «ولدي احذر أن يبدر منك شيء. السافاك يوقعك في داهية!» قلت بغرور: «ومن السافاك؟» مرة أخرى ارتفع صوت الحاج محمد «هيس.. هيس».

عرفت أني لا أستطيع أن أفهم شيئاً من الحاج محمد. زدت من رفاقتي مع علي. بدأ يقول بصراحة أشياء لم تكن لي قابلة للتصديق. عن زوج الشاه وأخوات الشاه.. أقوال علي يزدان پناه ابن الحاج الذي كان بدينًا أيضًا جعلتني على مفترق طريقين بشدّة.

استغرقت مدّة في هذا التفكير. كنت مشغولا ليلة في حديث مع أحمد، وبهرام فرجي - وهو أبوه ابن خال والدي - موجودٌ معنا. رأيت بهرام يتحدث بما يشبه حديث علي يزدان پناه، ولكن لا عن فساد الشاه، بل عن ظلم الشاه]وبطانته[حيث يلقون القبضَ على الناس، ويسجنون، ويقتلون. الشاه لا يجيز عقد مجالس عزاء الامام الحسين (عليه السلام). وأنا كنت قد نشأت منذ الصغر على مجلس عزاء الإمام الحسين (عليه السلام)، ومن أول السنة حتى المهرجان[1]، وهو موسم هجرة القبيلة ، كنت في انتظار عقد هذه المجالس. صحت بصوت عالٍ: «لِيخسأْ»، وبهذه الكلمة تغيّر لون وجه بهرام، وقال مرتبكًا: «تريد أن يقبضوا علينا؟!».

كانت سنة ٥٤ (١٩٧٥) أنا وأحمد من أجل مساعدة أبوينا، جئنا بأخوينا سهراب ومحمود عندنا وكانا في سنّ واحدة. أصبحنا الآن خمسة أشخاص في غرفة واحدة، فهي غرفة نوم، وهي أيضًا مطبخ ومستودع وكل شيء كان في الغرفة]المستأجرة[من آسيا خانم. لم يكن للمرأة العجوز أحد، نعطيها الطعام، واهتمام أحمد بالمرأة العجوز أكثر مني. وفي الغرفة المجاورة لنا كانت أمرأة فقيرة أخرى باسم معصومة، تعيش مع أبنها اليتيم]مهدي[. كان أحمد يدرّس أبنها. مهدي دائمًا ضيف على مائدتنا. في الليل حين يجتمع شملنا، نبدأ بالمصارعة. أنا وأحمد متساويان في السنّ وفي القوة. في بعض

١- أول السنة المقصود أول السنة الشمسية الهجرية (أول فصل الربيع) وتبدأ في ٢١ مارس من كل عام. والمهرجان أول فصل الخريف.

الليالي كنّا مشتبكين حتى منتصف الليل. طبعًا لم يحدث بيننا نزاع أبدًا.

في سنة ٥٥ (١٩٧٦) باقتراح من أحمد اتجهت إلى مسجد القائم، حيث السيد حقيقي[1]، يدرس القرآن فيه بشكل ترجمة وتفسير. ومن مسجد القائم انشقّ طريقنا إلى تكية[2] الفاطمية. وبشكل عام كنا نشارك في زيارة عاشوراء حيث كان عطاخان مدّاح التكية يأخذ على عاتقه قراءة هذه الزيارة بألف لعن وألف سلام[3]. في هذه السنوات نفسها كان يعتلي المنبر في مسجد الإمام المعروف باسم مسجد ملك[4] روحاني باسم محمودي. كان يحتشد للاستماع إلى حديثه جمع غفير. كلامه كان جذابًا للغاية. يعطي لكل سطر من كلماته مرجعًا: السورة الفلانية، الجزء الفلاني، الآية الفلانية.

وقعت بشدة تحت تأثير كلامه. وبالتدريج تبلورت في وجودي الحميّة الدينية.

في صيف سنة ٥٥ (١٩٧٦) جاؤوا إلى كرمان بحفلة گاردن بارتي[5].

١- مسجد القائم في شارع مطهري من مدينة كرمان بمفترق القائم، وآية الله عباس حقيقي (١٩٢١ – ٢٠٠٧) من مفاخر العلم والأدب، ومدرس في الحوزة ومفسّر وإمام جامع القائم.

٢- التكية محل لإقامة الشعائر الدينية ومجالس العزاء الحسيني.

٣- في هذه الزيارة يتكرر السلام على أهل بيت رسول الله ولعن أعدائهم.

٤- مسجد ملك في كرمان، مسجد في عشرة آلاف متر مربع ويعود بناؤه إلى ١٠٠٠ سنة وفيه أروقة كبيرة وصحن واسع.

٥- حفلة گاردن پارتي (garden party) كانت تقام في المناسبات الوطنية والسياسية في بستان أو متنزه، وعلى ساحة مفتوحة.

يَلفت النظر أن الشاه قد أوجد في جميع مراكز المحافظات دُورًا للفساد من أجل إغفال الشباب. ولكن أي واحد من هذه الدور ماكان بالإمكان إيجاده في كرمان. في ذلك اليوم جاؤوا بجميع المعروفين في الغناء والرقص (آقاسي، حميرا، هايده، آزيتا) إلى أرض مفتوحة، في نهاية شارع أبو حامد وكان آنئذ يسمى شارع صمصام[1]. ونصبوا خيمة كبيرة جدًا، والناس ذهبوا إلى هناك للمشاهدة، وكان المغنون والرقاصات يجرون برنامجهم.

قررنا أنا وصديقي فتح علي وكان من أهالي «جواران» وعلي يزدان پناه أن نواجه ذلك بعمل تخريبي . في الليل حيث كان الجميع مشغولين بمشاهدة البرنامج في محل گاردن پارتي، أفرغنا هواء دواليب[2] مائة وخمسين دراجة بخارية]للمشاهدين[، وخلسه فررنا من هناك! لقد أدينا بفخر هذا النوع من مكافحة الفساد. ولم يكن يساورني أي خوف من أحد. طبعًا لم يكن لي حتى ذلك الوقت معرفة دقيقة بالسافاك. فقط]سمعت[وأحسست من لسان الحاج محمد مرارًا اسم السافاك والخوف من السافاك. لكنني لم أكن أخاف شيئًا.

حلّ الصيف. صديقي حسن كانت له دراجة ٧٥٠[3] ثقيلة. جلست في المقعد الخلفي للدراجة، وهو كان يطوي الشوارع بسرعة جنونية. غرور الشباب مع فنون الكاراته، وبروز عضلات

١- شارع صمصام المسمى اليوم شارع فلسطين.
٢- بنشر دواليب أو إطارات الدراجات أو النارية.
٣- دراجة بخارية ٧٥٠ تعني دراجة هوندا CB750.

الساعد، قد دفعني إلى الشجار والنزاع.

سنة ٥٣ (١٩٧٤) تركت العمل في الفندق، وذهبت للبحث عن عمل فيه تخصص أكثر. تعرفت على شابين يعملان في السيراميك من أهل طهران محلة نازي آباد. كان الاثنان متدينين بشدّة ومعادين للشاه.

أصّرا أن أعمل معهما. اشتغلت معهما ستة أشهر عرفت بالتدريج أنهما من أعضاء منظمة مجاهدين[1]. أصّرا كثيرًا على أن أكون معهما. أخلاقهما الطيبة أثّرت فيّ كثيرًا. ولكن في تلك الأيام أصبت بحمّى مالطة[2]، وأُجبرت أن أدخل تحت العلاج لمدة أسبوعين في مستشفى راضيه فيروز[3]. وهما في هذه المدة قد عادا إلى طهران.

بعد الخروج من المستشفى، بمساعدة شخص اسمه شفيعي وكان مديرًا عامًا لمصلحة مياه محافظة كرمان، اشتغلت في مصلحة المياه بقسم قراءة العدّاد.

١- منظمة «مجاهدي خلق» مجموعة متطرفة ذات ميول ماركسية عملت على إسقاط نظام الشاه. وحين رأت استتباب حكومة الجمهورية الإسلامية وقفت بوجه النظام والشعب وحملت السلاح، واغتالت عددًا كبيرًا من الناس، وبخيانتها وجرائمها أصبحت مكروهة ومبغوضة لدى الإيرانيين.
٢- حمّى مالطه مرض عفوني ينتقل من الحيوان إلى الإنسان، يصاب به الإنسان غالبًا عن طريق تناول الألبان غير المعقمة.
٣- هو أول مستشفى خاص في كرمان يحمل هذا الاسم حتى الآن، ويقع في شارع مطهري.

حلّت سنة ٥٥ (١٩٧٦). وصار ذهابي منتظمًا إلى المسجد الجامع[١]، حيث كان يصلّي فيه آية الله صالحي[٢]، وإلى المسجد القائم من أجل درس القرآن للسيد حقيقي، وإلى تكية الفاطمية حيث كان مقرّنا الثابت تقريبًا. في أواخر سنة ٥٥ (١٩٧٦) جاء إلى كرمان روحاني باسم]سيد رضا[كامياب[٣]. وبدأ يدرّس في مسجد القائم. عدد قليل من الأفراد كانوا يشاركون في جلسته.

جلسته كانت محدودة. لم نكن نفهم من كلامه الذي يغلب عليه الإبهام شيئًا. فقط كنا نعلم أنه ضدّ الشاه. شاركت في ثلاث جلسات.

في محرم سنة ٥٥ (١٩٧٦) دخلت لأول مرة في تجربة المواجهة مع البوليس.

كان يوم عاشوراء، وكنا نذهب كل عام في مثل هذا الوقت إلى

١- المسجد الجامع في كرمان ويسمى المسجد المظفري يعود بناؤه إلى ما يقارب ٧٥٠ سنة.

٢- آية الله علي أصغر صالحي كرماني (١٨٩٠ – ١٩٨١) خطيب ثوري وأستاذ في الحوزة، والذي أعاد إحياء المدرسة العلمية المعصومية. دفن في صحن السيدة المعصومة بمدينة قم.

٣- حجت الإسلام سيد رضا كامياب (١٩٥٠-١٩٨١) درس في الحوزة العلمية بمشهد وكان شريكا في النضال مع السيد الإمام الخامنئي والشهيد سيد عبدالكريم هاشمي نجاد. كانت خطبه الثورية ذات تأثير في دفع مسيرة الثورة بكرمان ويزد. كان نائبًا في أحد دورات مجلس الشورى الإسلامي واستشهد على يد الارهابيين.

مرقد السيد حسين[١] في چوپار[٢]. لكني في ذلك اليوم قد بقيت. ذهبت إلى فندق كسرى لتفقد صديقي فتح علي. كان الجوّ حارًا، وكلانا كنا ننظر من نافذة المبنى إلى الأسفل. في الجانب المقابل لنا كان مبنى البلدية ومبنى مركز الشرطة. بنتٌ شابة سافرة بشعر طويل كانت تمشي في الممر. وكان هذا المشهد طبيعيًا آنذاك. في الممر أحد رجال الشرطة تحرّش بها. هذا العمل القبيح في يوم عاشوراء قد استثارني. وبدون التفكير في العواقب قررت أن أصطدم به.

الشرطي ذهب إلى صديقه بوليس المرور الذي كان في التقاطع المجاور لمركز الشرطة. نزلت مع صديقي بسرعة من سلّم الفندق. كنت عصبيًا لدرجة لم أكن أعير اهتمامًا لعواقب هذا الهجوم. كان الشرطيان مشغولان بالحديث. وبسرعة خاطفة وصلت إليهما وبركلات كاراته عديدة طرحت الشرطيّ أرضًا، وفار الدم من أنفه!

بوليس المرور نفخ في صافرته[٣]. ولما كان]مركز شرطة المرور[قرب مركز الشرطة ركض في اتجاهنا شرطيان.

بالسرعة نفسها هربت ولجأت إلى مبنى الفندق، وتمددت تحت أحد الاسرّة. هجم على الفندق عدد كبير من الشرطة. فتشوا كل مكان لساعتين تقريبًا. لكنهم لم يستطيعوا العثور عليّ. بعدها خرجت من الفندق واتجهت إلى بيتي. ضربي الشرطي بعث فيّ الشعور بالغرور. الآن ماعدت أخشى شيئًا.

١- أحد المراقد للسادة من أهل البيت.

٢- چوپار: مصيف يقع في مدينة كرمان يبعد عن مركز المحافظة ٢٥ كيلومترا.

٣- كانت الصافرة مستعملة آنذاك عند شرطة المرور للتنبيه.

في أوائل سنة ٥٦ (١٩٧٧) ذهبت لأول مرة لزيارة مدينة مشهد المقدسة. بعد ما يقرب من عشرين ساعة وصل الباص إلى مشهد، أخذت غرفة في فندق قرب الحرم. بعد زيارة الحرم، رحت أبحث عن نادٍ رياضي. وقع نظري على زورخانه[١] قرب الحرم. الآن أصبحت آخذ الميل[٢] وأضرب الكبادة[٣]. وأيضًا أسبح[٤] أكثر من سبعين مرة. كان عدد من الرجال الكهول وعدد من الشباب يمارسون الرياضة. سواعدي المكشوفة وصدري العريض في سنّ الشباب كانت تحكي أني رياضي. شاب رشيق كانوا يسمونه سيد جواد قال لي: تفضل. بإزار[٥] رياضي وردت الدائرة[٦]. طلبت الإذن من الميان دار[٧]. وسبحت عدة

١- زورخانه: أو بيت القوة، مكان تمارس فيه رياضة تراثية خاصة تقوم على أساس القوة.
٢- أخذ الميل: هو حمل ثقلين كبيرين من الخشب في أعلى الكتف وخلفه.
٣- ضرب الكبادة: رفع قوس فلزي تربط جانبيه سلسلة وتحريكه إلى اليمين وإلى اليسار والسلسة على الرأس.
٤- السباحة: هي رياضة الضغط، يتمدد الرياضي فيه على الأرض والوجه إلى الأسفل ثم يرفع الجسم بدفع اليدين عن طريق ضغط الأرض، وتكون بجانبه لوحة خشبية يضطجع عليها بعد احساسه بالتعب.
٥- هذا الازار يرتديه الرياضي حين يدخل في دائرة الزورخانة.
٦- الدائرة: هي الفسحة التي يمارس فيها الرياضيون ألعابهم. وهي عادة في محل هابط يشكل رمزًا لتواضع الرياضيين.
٧- الميان دار: هو شيخ الرياضيين، وأعرفهم بفنون الحركات ورموزها. يقف وسط الميدان ويدير حركة الرياضيين.

مرات، وأخذت الميل، بعدها ضربت السنگ[١]. من نظرات سيد جواد علمت أني لفتّ نظرة. بعد إكمال الرياضة واستئذان الميان دار مرة أخرى خرجت من الدائرة.

تعلمت أصول الورود والخروج من الدائرة بشكل جيد من المرحوم عطائي والحاج ماشاء الله جهاني. وهي ذروة أدب الرياضة. الرياضة أساسًا كان لها تأثير كبير على أخلاقي الدينية. أحد أهم العوامل التي حالت دون انجراري في المفاسد الأخلاقية، على الرغم من سنّ الشباب هي الرياضة. خاصة الرياضة التراثية ذات الأسس والأصول الأخلاقية والدينية[٢].

سيد جواد، شاب مشهدي، سألني: من أين أنت؟ قلت: من كرمان. سألني عن اسمي أجبته. قال: كم تبقى في مشهد؟ قلت: أسبوعًا. أصرّ على أن آتي عصر كل يوم من هذا الأسبوع إلى ناديهم.

حرم الإمام الرضا كان ذا جاذبية عجيبة. كنت في الليالي أمكث في الحرم حتى ساعة متأخرة. في اليوم التالي ذهبت إلى النادي في الساعة الرابعة بعد الظهر. هذه المرة كان قد جاء مع سيد جواد شاب آخر كانوا ينادونه باسم حسن. بعد الخروج من ساحة الزورخانه سيد جواد وحسن أخذاني إلى ركن، تصورت أنهما يريدان

١- ضرب السنگ: أو ضرب الحجر، رفع وخفض لوحين مسطحين وثقيلين في حالة استلقاء الرياضي.
٢- الرياضة التراثية في الزورخانه بإيران مفعمة بألوان الحكمة والآداب والسلوك المعنوي مما يثير الدهشة، نقترح أن تطّلعوا على هذه الرياضة المربية للإنسان.

ضرب شخص آخر، ولذلك اتجها إلى مصادقتي.

جسمهما لم يكن ذا حالة رياضية، لكنهما كانا يضربان الميل ويسبحان. الواضح أن حسن جديد التردد على الزورخانه، لأنه كان يسبح حتى عشرين مرة ثم يضطجع على اللوحة الخشبية.

جلسنا نحن الثلاثة على إحدى المساطب الرياضية. سأل سيد جواد: «هل سمعت حتى الآن باسم علي شريعتي؟» قلت: «لا ومن هو؟» السيد، خلافًا للحاج محمد، بدون خشية أوضح: «شريعتي معلّم» وألّف عدة كتب. إنه ضد الشاه». لم تعد كلمة «ضد الشاه» تثير تعجبي. يبدو أنه أحسّ فيّ تعاطفًا.

هذه المرة بدأ صديقه حسن يتحدث، سأل: «هل تعرف آية الله الخميني؟» قلت «لا»، قال: «أنت مقلّد مَنْ؟»[1] قلت: «ما معنى مقلّد؟» نظر الاثنان إليّ. انصرفا عن متابعة السؤال. سألا مرة أخرى: «هل سمعت أصلا باسم الخميني حتى الآن؟» قلت: «لا». السيد وصديقه قدّما توضيحات تفصيلية حول رجل باسم آية الله الخميني.

بعدها، ألقيا نظرة فاحصة على أطرافهما، وأخرج]أحدهما[من تحت قميصه صورة. وضع الصورة أمام عينيّ. صورة رجل كهل روحاني[2]، على عينه نظارة، مشغول بالمطالعة، وتحته كانت

١- التقليد في فقه مدرسة آل البيت هو أن يعود كل مكلّف إلى مرجع مستوف للشروط ليأخذ منه أحكام دينه.

٢- روحاني في الفارسية تعني عالم دين، أو طالب علوم دينية. وهو عادة معمم.

العبارة: «آية الله العظمى سيد روح الله الخميني». سألني: «أتريد أن أعطيك هذه الصورة؟» أجبته بسرعة: «نعم أريد» حسن صديق سيد جواد قال: «ينبغي أن لا يرى أحد هذه الصورة، وإلا فإن السافاك (وهذا الاسم قد أصبح معروفًا لديّ الآن) سوف يلقي القبض عليك».

أخذت الصورة وأخفيتها تحت قميصي. ودّعت، وافترقت عنهما. «شريعتي، خميني» اسمان جديدان يطرقان سمعي. السؤال الذي كنت أفكر فيه هو لماذا لم يرد اسم هذين الشخصين على لسان الشابين العاملين في السيراميك خلال الأشهر الستة التي عملت معهما، وكنّا أصدقاء في الصميم، وكانا يكثران الحديث ضد الشاه!

دخلت الفندق. أخرجت الصورة من تحت قميصي، أمعنت فيها النظر لساعات. لم أذهب مرة أخرى إلى النادي. في اليوم الرابع، ذهبت إلى مجمّع باصات السفر واشتريت تذكرة لكرمان؛ بينما الصورة ذات اللونين الأبيض والأسود التي أصبحت شغوفًا بها جدًا مخبأة تحت قميصي ملتصقة بقلبي. أحسست بأني أحمل شيئاً قيّمًا جدًا.

ما إن وصلت كرمان حتى عرضت الصورة على علي يزدان پناه قال: «هذه صورة السيد الخميني» وسأل بتعجب: «من أين لك هذه الصورة؟! لو ألقوا عليك القبض مع هذه الصورة، يلقوك في داهية أو يقتلوك». أحسست في وجودي جرأة وشجاعة عجيبتين. كنت أفترض أن السافاك رقيبي في الكاراته سرعان ما أطرحه أرضًا! كان وجودي مملوءًا بنشاط الشباب بحيث لا أهاب شيئًا. أنا الآن

صرت «ثوريًا من الطراز الأول» أشدُّ من علي يزدان پناه. كنت أتكلم بدون خوف.

في عام ٥٦ (١٩٧٧) بدأت الأصوات تصل إلى الآذان من خارج كرمان بالتدريج. أصبح الجميع على علم باشتباكات قم وتبريز. في النصف الثاني من سنة ٥٦ (١٩٧٧) أُطلق سراح عدد من سجناء كرمان. منهم الشيخ حجتي[١]، والأخوان مشار زاده[٢] وأحدهما كان من أعضاء اللجنة المركزية لمنظمة المجاهدين.

كرمان كانت في حالة تغيير. مدينة كرمان الهادئة هي الآن يرتفع فيها يوميًا مئات الأصوات المعارضة للشاه. أصبحنا الآن ستة ثوريين ومعادين للشاه ومن أنصار الخميني: أحمد، وعلي، وأنا، وبهرام، والأخوان سهراب ومحمود الذي كان صبيًا.

بسبب انعدام التجربة وأيضًا بسبب المعنوية الرياضية والقتالية العشائرية التي كانت ذاتية، كنت أتكلم بدون تحفظ وأذم الشاه وأسرته. في الليالي وبالاشتراك مع أخ اسمه واعظي (وكان في البداية من الحرس]الثوري[ولم أدر بعدها كيف صار) وأحمد وعدد من شباب كرمان كنا نكتب شعارات على الحيطان. أكثر الشعارات «الموت للشاه» و«تحية للخميني» صورة الخميني كانت مرآتي اليومية: أنظر إلى الصورة عدة مرات يوميًا. كأنه حي وأنا إلى

١- حجة الإسلام محمد جواد حجتي كرماني (ولد ١٩٣٢) أول إمام جمعة في كرمان، وكان عضوًا في مجلس الخبراء لعدة دورات.

٢- محمد رضا مشار زاده كان معلمًا خلوقًا ونشطًا، وغلامحسين مشار زاده التحق بالمنافقين وكانت عاقبته شرًا.

جانبه وهو يقرأ القرآن. أصبح جزءًا من وجودي.

في أواخر ٥٦ (١٩٧٧) كنت منذ أمد قد أديت امتحان جواز السياقة ونجحت، راجعت مركز شرطة المرور لأخذ الجواز. ضابط باسم آذري نسب قال: «أدخل، فمن الاتفاق أن شهادتك وقّعها الخميني، فهي جاهزة للاستلام». أنا من نبرة كلامه لم أفهم منه شيئًا. أخذني إلى غرفة، ودخل أيضًا اثنان من المراتب. بدأوا يوجهون إليّ سبًا ركيكاً. كنت في محاصرتهم، ولم يكن هناك طريق للفرار. انهالوا عليّ بالصفع والركل وبسباب لا يقبل البيان. كانوا يقولون: «أنت تذهب في الليل للكتابة على الجدران؟!» ضربوني وضربوني حتى خارت قواي فسقطت أرضًا. كان الدم يسيل من أنفي ووجهي. أحدهم وقف بجزمته على بطني وضربني على بطني ضربة أحسست معها أن أحشائي قد تمزّقت. وعلى الرغم من كوني رياضيًا وكانت لي تمارين صعبة في رياضة الكاراته والزورخانه، فإن قواي قد انهارت، وفقدت الوعي.

حين أفقت، كان باب الغرفة مغلقًا وأنا مسجون فيها. ولما كانت إدارة الشرطة وإدارة بوليس المرور]متقاربتين[في مكان واحد ومقابل الفندق الذي كنت أعمل فيه سابقًا، فإن الشرطة كانوا يعرفونني جيدًا، باسم «عامل الحاج محمد». أحد المراتب أخبر الحاج محمد والحاج «كارنما» الذي كان له محل بيع قطع الغيار وكان يعرفني جيدًا.

من داخل الغرفة كنت أسمع صوت الحاج محمد والحاج كارنما يقولان لضابط الشرطة: «هذا عامل بسيط وبائس. إنه أصلاً لا

يعرف شيئًا من هذا!» و وجّهوا إليّ عددًا من الإهانات: «على فرض أنه ارتكب حماقة فإنها بسبب عدم فهمه!» بأشكال مختلفة من المحالاوت، وبعد نصف يوم، قبل أن يسلموني للسافاك أخرجوني من مركز الشرطة.

بجسم مهشّم تمامًا، أخذا بيدي حتى استطيع أن أعبر الشارع. أخذاني إلى فندق الحاج محمد. سقوني «الشربت» تحسّنت حالي قليلا. قبّلني الحاج محمد، وناداني بكلمة «ابني» وبصوت خافت جدًا همس في أذني: «لو وقعت ثانية بيد هؤلاء فلن يرحموك». أصرّ على أن أعود إليه» شكرته وخرجت من الفندق وذهبت إلى البيت حيث كان هناك خمسة أشخاص.

ثلاثة أيام ماكنت فيها قادرًا على الحركة من شدّة الألم. لكني أحسست في نفسي بطاقة جديدة. لقد زال خوفي من الضرب والتعذيب. كنت أرى أن ما ينبغي أن يحدث فقد حدث! كأنّ هذه الحادثة قد أثرت فيّ كتأثير الوشم الذي كنا نضربه في عهد الطفولة بأوراق البطنج على شكل شامة صغيرة خلف أيدينا. بكل ضربة وركلة حُفرت كلمة «الخميني» في أعماق وجودي.

أُتيحت الفرصة. فقصدنا أنا وأحمد القرية. كان نوروز ٥٦ (١٩٧٧) قد اقترب بقينا مدة في القرية. وإن كانت إجازتي من دائرة مصلحة المياه لمدة أسبوع. لكني ما عدت مستعدًا للعمل، بقيت عشرة أيام. والدي ووالدتي كانا مسرورين لأني صرت «موظفًا حكوميًا». طبعًا ما كانا يعرفان جيدًا الفرق بين الموظف والعامل. مجرّد أن كنت جزء من

بضع أشخاص يستوفون رواتب الحكومة فإن لذلك عندهم أهمية بالغة.

قلبي كان فيه ضجيج آخر. أصبحت إذاعة بي بي سي معروفة لدى كل ثوري معادٍ للشاه. كل ليلة كنت أنا وأخي الأكبر الذي أصبح أكثر مني التزامًا بالأمور الدينية نستمع إلى إذاعة بي بي سي، هذه الإذاعة وإن كانت تذيع تقارير عن الحوادث اليومية للمدن وطهران بتهويل خاص وبحرارة، لكن سيطرة نظام الشاه كانت لا تزال قوية. الشباب من أقراني كانوا كلهم ذوو معنويات ثورية. القرية كانت بأجمعها ثورية بأبنائها من الطبقة الفقيرة اللهم إلّا عدد قليل من المرتبطين بالعمدة. الوالد والوالدة لم يكونا على علم كامل بوضعنا.

عدت إلى كرمان. حيث هياج الثورة أكثر من ذي قبل. بعد شهر عدت إلى دائرة مصلحة المياه. لكني ما كانت لي رغبة في الذهاب إلى المصلحة. استأجرنا أنا وأحمد واثنان من إخوتي غرفة في بيت كان فيه ثلاثة مستأجرين آخرين. نحن الأربعة كنا في غرفة هي محل منامنا، ومستودعنا، وأيضًا مطبخنا، وكل شيء.

على مائدة الغداء يشترك معنا يوميًا عدد من أبناء مدينتنا الذين كانوا ضيوف مائدتنا، وهي من خبز ولبنة أو بيض وخبز وحلوى. وفي بعض الأوقات كنا نستضيفهم بالهدايا التي تبعثها الوالدة وهي إما الفستق أو مقدار من مرق الخضروات]السبزي[أو المكسرات. الى جوار غرفتنا كانت قد استأجرت عائلةٌ غرفة أخرى لها عدد من الأبناء أكثرهم بنات صغيرات. أطفالها الصغار كانوا في

الظهر يشاركوننا بالخبز واللبنة. ونحن بسخاء، طبعًا أخي أحمد أكثر مني، كنا نثرد في سهمنا من كاسة اللبنة خبزًا ونلقم أولئك الأطفال. في بعض الأوقات أيضًا كنّا نبقى جوعى. كانت شفاههم و وجوههم تتلطخ باللبنة. وتأتي أمهم، وتدعو لنا بالخير لأنا أطعمنا الأطفال.

الآن قد تحول محل تجمعنا من تكية الفاطمية إلى المسجد الجامع. كنت في أغلب الأوقات بالمسجد الجامع. نادي الرياضة لم أتركه. هذه الأيام كنت أذهب غالبًا إلى نادي «جهان»، عند الحاج ماشاء الله. تعرفت على أصدقاء جدد مثل عطاء والحاج عباس زنكي آبادي. طبعًا كنت أرى الحاج عباس هناك. كان له هيكل ضخم. وحين يأخذ السنگ]الحجر[يلفت أنظار الجميع. بعض الأحيان كنت أمرّ على نادي عطاء وصاحبه عطاء يعتبر بطلا]بهلوان[من أبطال كرمان. الأدب والاحترام أمام الأكبر سنًا، والرياضة مما كان من دواعي أن أكون محترمًا عندهما (الحاج ماشاء الله وعطائي).

بالتدريج تصاعدت المظاهرات في المدينة. ماعاد اسم الإمام ومعرفته محصورًا بعدة أشخاص. جماهير غفيرة كانت تعرفه وتريده.

حجم ثوار كرمان، بقدر بحيث يمكن أن يقال إن مدينة كرمان كان لها في الثورة دور المحور الأساس. هاشمي الرفسنجاني الذي لم أكن طبعًا آنذاك على معرفة به، باهنر، حجتي، فهيم كرماني، الأخوان مشارزاده، الشيوخ موحدي، ساوة، جعفري، وهم عمدة علماء كرمان كانوا ـــ سوى بضع أشخاص ـــ صفًا واحدًا ضد الشاه.

صار المسجد الجامع ومسجد ملك المحل المركزي لتجمع الثوريين. قبل ذلك كان مسجد قائم بهذا الشكل بسبب وجود آية الله حقيقي. أما المسجد الجامع بسبب إمامة ومحورية آية الله صالحي كان محور أهم التحركات. فهو عجوز ذو وجه صبيح قصير القامة متقدم في السن، يحترمه أكثر أهالي كرمان بشدّة. بعد الظهر من كل يوم يجتمع الجميع ويتبادلون الأخبار المتناثرة، من طهران حتى قم وشيراز، كان الجميع على علم بأخبار الأطراف، ويتناقلون الأخبار مع بعضهم.

أول مظاهرة في كرمان بدأت وكان الروحانيون]علماء الدين[في مقدمتها. وفي طليعتهم آية الله نجفي إمام مسجد «امام زمان» وباقي الروحانيين معه، والناس خلف الروحانيين. كانت الشعارات في البداية حول السجناء السياسيين وإطلاق سراحهم بالتدريج اتخذت طابعًا معاديًا للشاه. لكنها مثل شعلة صغيرة تبدلت إلى ألسنِة لهب مستعرة، نداء «الموت للشاه» قد تصاعد في أرجاء المدينة.

الجيش الذي كان آنذاك مستقرا في مركز التدريب رقم٥، وكنت قد ذهبت إلى ذلك المكان مرارًا في زمن خدمة أخي في الجندية، وهكذا الدرك، والشرطة، والاستخبارات، والساواك، حاولوا المواجهة. لكن الموجة كانت أكبر بكثير من طاقتهم. اعتقال شخص أو اثنين وعدة أشخاص، وحتى ألف شخص، لم يكن له أثر على هذه الموجة. أساسًا هذه الأعداد]من جهاز النظام[لم تكن بالشيء القادر على أن تؤثر على هذه الموجه العارمة والعميقة والثائرة. أنا وأصدقائي، وقد

أضيف اليهم الآن علي جان وعبدالله كنا نرفع صوتنا بدون خشية. في الصباح أُعلن عن تجمّع في المسجد الجامع للمدينة. هذا الإعلان تناقلته الأفواه وملأ كل أرجاء المدينة]بقوة[أكثر من قوة مواقع التواصل الاجتماعي في أيامنا هذه! الشباب الثوريون وعدد من العلماء منهم آية الله صالحي كانوا قد تجمعوا في فناء المسجد. دائرة الشرطة بتحشيد الغجر[1] الذين كانوا يسكنون في ضواحي المدينة، هجموا على المسجد من جانبين. المسجد الجامع له ثلاثة أبواب كبيرة ومتشابهة للدخول.

كنت قد اشتريت حديثًا دراجة بخارية صفراء من نوع سوزوكي ١٢٥ دخلت من باب القدوم الذي كان واقعًا في سوق كرمان، و وضعت دراجتي البخارية داخل أحد الأزقة المنشعبة من السوق. كان في السوق هياج وضجيج. بعد ساعات بدأ الغجر بالهجوم من البابين الشمالي والغربي للمسجد تسندهم قوات الشرطة. في البداية أحرقوا جميع الدراجات والعجلات المتوقفة أمام المسجد. ارتفع صوت الشباب أن «أغلقوا الأبواب!».

بمعية واعظي وأحمد ذهبنا إلى سطح فناء المسجد، الغجر والشرطة طفقوا بوحشية يحرقون وسائل الناس. ثم جاؤوا بعدد من الدراجات البخارية خلف باب المسجد، وأضرموا النار في الباب. بدأ إطلاق الغاز المسيل للدموع داخل المسجد من جانبين. فُتح

١- الغجر ينتمون إلى أصول مبهمة، جاؤوا منذ قرون من الهند إلى إيران وبلاد أخرى. حياتهم عجيبة ومنزوية، ويمتهنون الاستجداء والتفأل والرقص و...

الباب وبدأ الهجوم على فناء المسجد.

آية الله صالحي نقلناه. من نافذة فناء المسجد إلى الخارج. كان قد انهارت قواه بسبب استنشاق الغاز وكهولة السنّ. أحد الروحانيين، باسم «أسدي» وأصبح بعدها صديقي، من تلقاء نفسه كان يشجّع الشباب بحرارة على المواجهة، والناس يفرّون من الباب الغربي للمسجد. وكل من يريد الخروج من باب ينهال عليه الغجر بالعصي والهراوات على رأسه ويده.

في وسط المعركة رأيت طفلا مدهوشًا يبكي. وتلقائيًا صحت بوجه الشرطي الذي همّ بالهجوم عليه وقلت: «اتركه!» وكانت صيحتي من القوة والشدّة بحيث شعرت]أن الشرطي[تردّد وخاف. احتضنت الطفل وخرجت من الباب الغربي، واستدرت إلى باب القدوم و]رأيت[دراجتي البخارية سالمة. ركبت وأحمد الدراجة، فواجهنا أمامنا جماعة من الشرطة. وما إن أردنا أن نمرّ أمامهم حتى انهالوا علينا بالهراوات على الرأس والوجه.

صار الاشتباك أمام شارع محمدرضاشاه[1]. حملنا على الشرطة بالحجارة. الشرطة أحرقوا مبنى الإخوان عقابيان وكان آنذاك معرضًا للسيارات، وأحدهم كان له محلّ لبيع الدراجات البخارية والهوائية. عقابيان كان من ملّاك كرمان ومعاديًا للشاه. استمر الاشتباك حتى الليل. وتفرّق بصورة مظاهرات.

بعد يومين وبمعية واعظي وفتح علي وكان من أبناء محلتنا،

١- اسمه الآن شارع طالقاني.

وعدد من شباب المدينة، أضرمنا النار في محل بيع الخمور الوحيد في كرمان بشارع كاظمي[1]، زمام المبادرة كان قد خرج تمامًا من يد القوات المرتبطة بنظام الشاه. خبر إحراق المسجد الجامع في كرمان قد انتشر في أرجاء البلاد، وأدى إلى خروج مظاهرات منددّة عديدة. في مدينة كرمان خرجت مظاهرات حاشدة للغاية. شعار الناس كان: «مسجد كرمان، أُحرق فيه القرآن، والمسلمُ والإنسان».

المسجد الجامع كان مقرّي الثابت. لا أتذكر متى كنا نتغدّى ونتعشى، لم أعد أذهب إلى مصلحة المياه. وباسم الإضراب امتنعت عن الذهاب إلى العمل. في داخل المسجد عدد من الشباب بدأوا يرفعون شعار: «تحت وطأة الظلم، لا أقبل العيش. أضحي بنفسي على طريق الحرية، وأُسقط السلالة البهلوية.. الموت للشاه.. الموت للشاه.. أيها الشاه الخائن لقد أصبحت مشرّدًا. وهدمت صرح الوطن»[2].

في قريتنا أيضًا، أسرتنا ومشهدي عزيز، و والد أحمد كانوا ضد الشاه. أخي الأكبر كان يستمع كل ليلة إلى إذاعة بي بي سي. في يوم عاشوراء ٥٧ (١٩٧٨) قوات الدرك في مركز شرطة رابُر بمعيّة العمدة (المختار)، جاؤوا إلى أمام بيتنا بالطبل والمزمار وشعار «الخلود للشاه» ليبعثوا رسالة إلى والدي «أنك في خطر!». أخي الأكبر حسين أصيب بصدمة نفسية شديدة، بعد أن رأى أن هؤلاء فعلوا ذلك في

١- اسمه الأن شارع «قدس».
٢- هذه الشعارات بالفارسية ذات وقع موزون ومسجّع.

يوم عاشوراء. كان يكرر دائمًا: «إنهم فعلوا ذلك في يوم عاشوراء!» ثم يلقي نظرة إلى الأرض ويبكي . ظن الجميع أنه جُنَّ.

عدنا إلى قريتنا، أقلقني وضع أخي، تحدثت معه حول الثورة وحول أن الشاه يشرف على السقوط، وأخبار المدن. كنت معه ثلاثة أيام، أخرجته من البيت. كنت أخبره بما يجري، وكلمته باستمرار. من اليوم الثالث عادت حالته إلى وضعها السابق. أوصيته أن لا يستمع حاليًا إلى أخبار بي بي سي.

عدت ثانية إلى كرمان. كانت أمي قلقة. جاءت إلى كرمان. كانت قلقة على أخي الأصغر خشية أن يقتل، أقسمت عليّ أن لا أزجّ نفسي في الاشتباكات. ومن الاتفاق أن حضور والدتي صادف تصاعد الثورة. وكان قد اشتشهد أحمد توكلي.

كنت أبحث عن سلاح. اشتريت في البداية سلاحًا تدريبيًا [1]، لم تكن فيه فائدة، ثم اتجهت إلى نزع سلاح أحد الشرطة بالتعاون مع صديقي فتح علي ولكن لم يتسير لنا ذلك .

بعد ثلاثة أشهر اشتريت مسدسًا من نوع ريفولفر لم يكن يحتاج إلى تعليم. كان يشبه المسدس التدريبي الذي كنت أمتلكه.

بعد تشييع حسن توكلي، عقدنا له مجلسًا في مسجد مَلِك (الإمام الخميني حاليًا). حضره جمع غفير. عدد كبير من قوات الشرطة مع عدد كبير من سكان أطراف كرمان، وقيل إنهم من

١- هذا المسدس يستوعب ٥ أو ٦أو٧ طلقات، وفي كل إطلاقة يدور مستودع الرصاص ليعدّ الطلقة التالية.

«باغين»[1] كانوا يتقدمون في الشارع، ويبدو أنهم كانوا يتجهون إلى المسجد. أخبرت المسجد بذلك.

حين استدار طابورهم إلى المسجد، وقعت عيني على سيارة حمل تحمل طابوقًا. أنا وصديقي حسن حملنا عليهم بالطابوق، لذلك بدأ الاشتباك قبل المسجد. دخل الشرطة. في البداية كانوا يطلقون رصاصًا تعليميًا]صوتيًا[. بعدها بدأوا باطلاق رصاص ناري. حين كان يُطلق الرصاص، كان الجميع يصيحون «تعليمي! تعليمي!» ثم انهالت بالتدريج رصاصات نارية. بعد لحظات سقط ثلاثة أشخاص: الشهيد دادبين، ونامجو اللذين استشهدا في نفس اللحظة. حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كان لنا اشتباك مع الشرطة في الشارع وفي أزقة أطراف المسجد.

١– باغين قرب كرمان.

الجزء الثانى
النسخة المخطوطة بيد الحاج قاسم